ناشري

الشبهة

ترجمات لمختارات من أشهر القصص البوليسية العالمية

ترجمة
أمل عمر بسيم الرفاعي

ترجمات ناشري

ترجمة أمل عمر بسيم الرفاعي

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.

www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.

نشر إلكترونيًّا في صفر، ١٤٣٤/ ديسمبر، ٢٠١٢.

يمنع منعًا باتًّا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

الإخراج الفني: شيماء رضوان

تصميم الغلاف: إدريس يحي

ترجمة أمل عمر بسيم الرفاعي

محتويات الكتاب

المقدّمة..... ٣

الشبهة - Suspision ٥

الياقوتة - The Ruby..... ٤٣

البعض من رغوة الصابون فقط، وهذا كل شيء - Just lather, that`s all..... ٥٦

الضيف - The Guest..... ٦٧

السيرة الذاتية للكاتبة دروثي ليغ سيرس ١٨٩٣ـ ١٩٥٧ ..... ٩٧

السيرة الذاتية للكاتب كورادو ألفارو ٩٩

السيرة الذاتية للكاتب إيرناندو تيليز ١٩٠٨ـ ١٩٦٦..... ١٠٢

السيرة الذاتية للكاتب ألبير كامو ١٩١٣ ـ ١٩٦٠..... ١٠٤

السيرة الذاتية - Curriculum vitae..... ١٠٦

المقدّمة

يسرني أن أقدم إلى القراء ترجمة لمجموعة جديدة من القصص، وهي قصص ذات طابع بوليسي مُشوّق تعتبر من بين أروع ما تمت كتابته في هذا المجال.

١. قصّة الشبهة:

قصّة تثبت القاعدة القانونية المُطبقة في مجال التحقيقات في كافة دول العالم، وهي القاعدة التي تنصّ على أن:

البحث عن المجرم يجب أن يبدأ أولاً بمن هم أقرب الأشخاص إليه من أقرباء وأصدقاء، وبمن هم في محيط مسرح الجريمة، وبأن المشتبه به بريء إلى أن تثبت إدانته.

٢. قصّة الياقوتة :

قصّة طريفة تروي حكاية مهاجر فقير الحال يعثر في طريق عودته إلى موطنه على ياقوتة ثمينة يحملها معه بينما تخفق السلطات في العثور عليها ، لكن ذلك المهاجر

يعتقد بأنها ليس سوى قطعة من الكريستال (البللور الصافي) وبذلك تصبح تلك الجوهرة الثمينة في النهاية أداة للعب ولده.

٣. قصّة البعض من رغوة الصابون فقط، هذا كل شيء:

قصّة تصّور الصراع النفسي والمشاعر التي تعتري شخص يكون على وشك قتل عدوه لكنه يُعرض عن ذلك في النهاية لتمسكه بمبادئه.

٤. قصّة الضيف:

قصّة تُصوّر الصراع بين الواجب الوطني والشعور الإنساني.

***

الشبهة

Suspision

للكاتبة دروثي سيرس

كان جو عربة القطار قد بدأ يُصبح عبِقًا برائحة السجائر، مما جعل السيد مومري يشعر أكثر فأكثر بأن الإفطار الذي تناوله لم يكن مناسبًا له. قد لا يكون هناك بما تناوله من أطعمة ما هو ضار بحدّ ذاته ـ خبز أسمر غنيبالألياف ـ تمامًا كما ينصح به الخبير الصحّي في مقالته التي تم نشرت مؤخرًا في صحيفة مورنينغ ستار ـ ولحم مُقدّد، وبيضتم تحضيره بالطريقة المناسبة، وقهوة أعدّتها له السيدةستونبالطريقة التي لا يتُقنها أحد مثلها.

كانت السيدة ستون اكتشافًا حقيقيًّا بالنسبة إليهما، وهو الأمر الذي على المرء أن يشعر بالامتنان لأجله. ذلك لأن زوجته إيثيل كانت قد أصيبت الصيف الماضي بانهيار

عصبي، ولم تعد قادرة على التعامل مع الفتيات غير المُدرّبات اللواتي كان قد تتالى مجيئهن وذهابهنإلى منزلهما بشكل عاصف. كما أن إيثيل قد أصبحت مؤخرًا تتوتر من أقل شيء، تلك الطفلة المسكينة !..

كان السيد مومريبذل كلما بإمكانه لتجاهلذلك الشعور الداخلي المتزايد بعدم الارتياح، على أمل ألا يؤدي ذلك إلى أن يقع هو أيضاً فريسة للمرض.،ففي ذلك ما قد يتسبب بالاضطراب في عمل المكتب، كما لا بُدّ أنه سوف يتسبب أيضًا بالكثير من القلق لإيثيل، والسيد مومري على استعداد لأن يُكرّس حياته، التي كانت بالأحرى رتيبة، وبكل رضى، كي يوّفر على إيثيل ولو لحظة واحدة من القلق.

ابتلعالسيد مومري أحد الأقراص التي تساعد على عملية الهضم، والتي اعتاد مؤخّرًا على أن يحملها معه، ثم فتح صحيفته. لم يكن في تلك الصحيفة على ما يبدو الكثير من الأخبار الهامة كانت جميعها من الأخبار التافهة: هناكما كُتب عن الاستفسار الذي طُرح في مجلس الوزراء حول وضع ضاربات الآلة الكاتبة اللواتي تستخدمهن الدولة، وعن أن أمير ويلز افتتح معرضًا للأحذية، وعن أن انشقاقًا آخرًا قد حدث في الحزب الليبرالي، وعن أن الشرطة لا تزال تبحث عن المرأة المتهمة بتسميم إحدى العائلات في

منطقة لينكولن، وعن احتجاز فتاتين في مصنع مُحترق، وعن حصول إحدى ممثلات السينما على حكم بالطلاق معلّق على شرط...

نزل السيدمومري في محطة باراجون واستقلّ الحافلة. كان شعور عدم الارتياح في أحشائه قد بدأ يأخذ شكل الغثيان، وكان من حسن الحظ أن قد تمكن من الوصول إلى المكتب قبل أن يحدث الأسوأ. جلس في مكتبه وقد شحب وجهه، لكنهكان قد استطاع مع ذلك السيطرة على نفسه عندما دخل شريكه إلى المكتب بشكل عاصف. قال السيد بروكس بصوته المرتفع:

"عمت صباحًا مومري" ثم أضاف سؤاله المعتاد "أليس الطقس باردًا بعض الشيء بالنسبة إليك؟"

أجاب السيد مومري: "تمامًا، الطقس شديد البرودة بالفعل."

قال السيد بروكس: "نعم الطقس بغيض...هو بغيض، بالفعل.. ولكن هل تشعر بأنك بخير تمامًا؟"

اعترف السيد مومري "ليس تمامًا. في الحقيقة كنت أشعر... "

قاطعه شريكه بالقول: "آسف، آسف بالفعل. كان عليك أن تُصاب بنزلة البرد هذه قبل فترة. كنت قد أصبت بها الأسبوع الماضي، لكن منزلي الصغير سوف يصبح بهيجًا في فصل الربيع بالنسبة لحديقة في البلدة. من حسن حظك أنك تقيم في الريف. لا بد وأنك تجد ذلك أفضل من العيش في (هول) أليس كذلك؟ على الرغم من أن لدينا ما يكفي من الهواء النقي في المنطقة العليا من الطرقات المُشجّرة. كيف حال السيدة؟"

"شكرًا، هي الآن بوضع أفضل بكثير."

"أنا سعيد بذلك... أنا سعيد بالفعل ... آمل أن نراها كالمعتاد بيننا من جديد هذا الشتاء. أنت تعلم بأنه ليس بإمكانهم الاستغناء عنها في جمعية الدراما...

بحق السماء! ليس بإمكاني أن أنسى دورها في قصة الحب تلك، ذلك الدور الذي لعبته في العام الماضي مع الشاب ويلبيك في المسرحية التي هزّت مشاعر المشاهدين، ألم تكن كذلك؟ سألتني عنها عائلة ويلبيك في الأمس."

"شكرًا لك، نعم. آمل أن تتمكن من استعادة نشاطها الاجتماعي عما قريب. لكن الطبيب يقول بأن عليها ألا تُرهق نفسها. و بأن أهم شيء هو ألا تقلق، وبأن عليها أن تأخذ الأمور ببساطة، وألا تندفع وبألا تبذل الكثير من الجهد."

"هذا صحيح، هذا صحيح تمامًا. القلق شيطان. لقد توقفت عن القلق منذ سنوات، أترى كيف أصبحت الآن! أنا على استعداد الآن لتحمّل كل شيء، هذا لأنني بدأت أنظر إلى الأمور كما هي. بالمناسبة أنت لا تبدو لي بخير."

قال مومري "إنه مجرد سوء هضم، لا أكثر، أو ربما كانت نوبة تشنج في الكبد، هذا ما توصلت إليه."

انتهز السيد بروكس مناسبة الحديث وقال على سبيل الدعابة: "هل تستحق الحياة أن نعيشها؟ هذا يتوقف بالطبع على الكبد..." ثم ضحك ضحكة عالية وقال:

"حسنًا، حسنًا، أعتقد بأن علينا أن نبدأ بالعمل الآن. أين عقد إيجار عائلة الفيرابي؟"

وبما أن السيد مومري لم يكن ذلك الصباح ميالًّا إلى التحدّث، فقد رحب إلى حدّ ما بذلك الاقتراح، وكان بإمكانه بذلك الاستمرار في أداء مهامه كسمسار للعقارات بهدوء لمدة نصف ساعة فقط، لأن السيد بروكس كان قد عاد للتحدّث من جديد.

قال فجأة: "بالمناسبة، لم تعثر زوجتك بعد على طاهية جيّدة، أليس كذلك؟"

أجاب السيد مومري: "حسنًا، لا، فليس من السهل الحصول عليهن في الوقت الحاضر. لكننا تدبرنا أمرنا. ولكن لِمَ تسأل عن ذلك؟ هل ستتركك طاهيتكم العجوز؟ هل ستفعل ذلك؟"

أطلق السيد بروكس ضحكة من القلب وقال:

"لا، بحق الله! سوف يحتاج تحريك تلك الطاهية العجوز من مكانها إلى زلزال. أنا أسأل لأجل عائلة فيليبسون، سوف تتزوج ابنتهم، وهي من أسوأ الفتيات من ناحية التدبير المنزلي. قلت للسيد فيليبسون عليك أن تكون حذرًا بما ستفعله، يجب أن تحصل على شخص تعرف عنه كل شيء، وإلا فسوف تجد نفسك قد رسوت على تلك المرأة التي تُسمّم الناس ـ ما اسمها ـ تذكرت كان اسمها أندورس. أعتقد بأنك لا ترغب بأن يتم إرسال أكاليل الزهور إلى جنازتك بعد فترة قصيرة... هذا ما قلته له. كان قد ضحك ولكن ما قلته من الأمور ليس من الأمور المضحكة. ببساطة، لست أدري لماذا ندفع المال لعناصر الشرطة، فقد مرّ أكثر من شهر دون أن يتمكنوا من القبض على تلك المرأة، وكل ما يقولونه هو أنها ولا بد لا تزال في المنطقة المجاورة، وبأنها ربماكنت قد سألتك الآن عن طاهية ما!"

قال السيد مومري: "فإذن، أنت لا تعتقد بأنها انتحرت؟"

أجاب السيد بروكس بفظاظة: "انتحرت؟ تلك الحقيرة؟ هل تعتقد هذا يا رجل؟ كان المعطف الذي عثروا عليه لمجرد التمويه. أمثال تلك النوعية من الناس لا يقتلون أنفسهم."

"من هي تلك النوعية؟"

"المهووسون باستعمال الزرنيخ. إنهم من الأشخاص الذين يخافون على أنفسهم. هم ماكرون كابن عرس، هم هكذا. كل ما يأمل به المرء الآن هو أن يتمكنوا من القبض عليها قبل أن تقضي على شخص آخر . كان هذا ما قلته لفليبسون"

"فإذن أنت تعتقد بأن السيدة أندروس هي من فعلت ذلك؟"

"أتسألني فيما إذا كانت هي من فعلت ذلك؟ هي بالطبع من فعلت ذلك! وهذا أمر واضح وضوح النهار. كانت قد تولّت رعاية والدها العجوز ثم مات فجأة وترك لها بعض المال. ثم تولت إدارة منزل رجل عجوز وفجأة يموت ذلك العجوز. وهناك الآن هذا الرجل وزوجته ـ يموت الرجل وتُصاب المرأة بمرض شديد نتيجة تسمّمها بالزرنيخ وتهرب الطاهية.. وأنت تسألني هل فعلت ذلك؟.. لا أمانع من الرهان على أنهم لو حفروا قبور كل من الأب ومن ذلك الرجل العجوز لوجدوا فيهما أيضًا كمية كبيرة من

الزرنيخ...عندما يبدأ الشخص بارتكاب مثل هذه الجرائم لن يتوقف، فهي كما يمكن أن نقول تنبع من داخلنفوسهم."

قال السيد مومري: " أعتقد أن الأمر كذلك."

أمسك بصحيفته وبدأ يبحث عما كُتب عن موضوع المرأة المفقودة ثم قال: "تبدو لي هذه المرأة غير مؤذية على الإطلاق، بل على العكس، هي تبدو امرأة لطيفة من النوع الطيّب والعطوف."

قال السيد بروكس: "لهذه المرأة فم قبيح" ذلك لأنه كان يؤمن بالنظرية التي تقول بأن شكل الفم يوحي بالشخصية "لذا فأنا لن أثق بمثل هذه المرأة على الإطلاق."

كان السيد مومري مع مرور ساعات النهار، قد بدأ يشعر ببعض التحسّن لكنه كان مع ذلك يشعر بالقلق حول ما سيكون عليه أن يأكله في وجبة الغداء.. لذا اختار بعناية بعض الأسماك وحلوى الكاسترد، كما حاول ،بشكل خاص، ألا يُسرع بتناول الحلوى بعد تناولهتلك الوجبة. وكان قد أحسّ بارتياح كبير، لأن السمك والكاسترد استقرا في معدته، ولأنه لم يشعر بعد تناوله الطعام بذلك الألم المضني الذي أصبح ينتابه منذ أسبوعين بعد كل وجبة طعام.

كان السيد مومري مع نهاية اليوم قد بدأ يشعر تمامًا بالراحة وبالجذل وكان الخوف الذي كان ينتابه من المرض ومن أدوية الأطباء قد توقف. اشترى باقة من الأقحوان الذهبي اللون لكي يحملها معه إلى زوجته إيثيل، وكان بعد أن غادر القطار، قد سلك الطريق التي تمر عبر حديقة "مون أبري"، وهو يتطلع إلى ما ينتظره من متعة.

لكنه أصيب ببعض الخيبة لأنه لم يجد زوجته في غرفة الجلوس. دلف إلى الممر وفتح باب المطبخ ممسكًا بباقة الأقحوان بيده، لكنه لم يجد هناك سوى الطاهية. كانت جالسة أمام المائدة بظهرها إليه، وكانت عندما اقترب منها قد نظرت إليه وكأنها تشعر بالذنب وقالت:

"يا إلهي! سيدي، لقد أجفلتني. لم أسمع صوت فتح الباب الأمامي."

قال مومري: "أين السيدة مومري؟ أليست بخير من جديد؟"

"حسنًا، كانت تلك المسكينة قد شعرت ببعض الصداع، لذا جعلتها تستلقي في فراشها، ثمحملت إليها كأسًا من الشاي في الساعة الرابعة والنصف، وأعتقد أنها الآن تنام نومًا هادئًا."

قال السيد مومري: "يا للعزيزة المسكينة."

قالت السيدة ستون: "لو سألتني عما تسبب بذلك، فسوف أعلمك بأنها كانت تقوم ببعض التغييرات في غرفة الطعام. قلت لها 'سيدتي، لا تُتعبي نفسك الآن' لكنك تعلم كيف هي سيدي، لديها ذلك الشعور الدائم بالضجر، فهي لا تحتمل أن تبقى دون انشغال."

قال السيد مومري: "نعم، نعم، أعرف ذلك، هذه ليست غلطتك، سيدة ستون، أنا متأكد من أنك تعتنين بكِلينا بشكل ممتاز. سوف أصعد إلى الأعلى لكي ألقي عليها نظرة، ولن أزعجها إن كانت نائمة. بالمناسبة ما الذي سنتناوله كوجبة عشاء؟"

قالت السيدة ستون: "أعددت لكم فطيرة لذيذة بشرائح اللحم والكلية."

وكانت تبدو على استعداد لتغيير الوجبة إلى اليقطين أو إلى أية وجبة أخرى في حال عدم موافقته على ذلك.

قال السيد مومري: "مُعجنات، حسنًا. ولكنني ... "

سارعت السيدة ستون بفتح باب الفرن لكي يلقي السيد مومري نظرة على الفطيرة وهي تحتجّ بالقول:

"ولكن سيدي، لقد طهوتها بالزبدة، لأنك قلت لي أن زبدة الخنزير تتسبب لك بسوء الهضم."

قال السيد مومري: "شكرًا لك، شكرًا لك سيدة ستون. أنا متأكد بأنها سوف تكون ممتازة. الأمر هو أنني لم أكن أشعر مؤخرًا بأنني بخير، يبدو أن زبدة الخنزير لم تعد تناسبني هذه الأيام."

أكدت السيدة ستون على ما قاله بالقول:

"حسنًا، فهي لا تناسب بعض الأشخاص بالفعل، هذا هو الأمر. لن أستغرب أيضًا فيما لو كنتَ قد أصبتَ ببعض البرودة على كبدك، أنا متأكدة بأن في مثل هذا الطقس ما يكفي لإزعاج أي شخص."

ثم هرعَت فجأة إلى المائدة وقامت بإزالةالصحيفة المُصوّرة التي كانت تقرأها، وقالت"قد تُفضّل السيدة تناول وجبتها في الأعلى؟"

قال لها السيد مومري بأنه سوف يذهب إليها كي يستطلع الأمر، ثم صعد على رؤوس أصابعه إلى الطابق العلوي.

كانت إيثيل مُستكينة تحت غطاء من الرياش. كانت تبدو هزيلة ضعيفة في ذلك السرير المزدوج. وكانت عندما دخل إلى الغرفة قد تحركت وابتسمت له.

همس السيد مومري: "مرحبًا حبيبتي!"

قالت: "مرحبًا! لقد عدت؟ يبدو أنني كنت نائمة.كنت قد شعرت ببعض التعب والصداع، لذا جعلتني السيدة ستون أصعد إلى الأعلى."

قال زوجها: "لا بدّ أنك كنت تتعبين نفسك كثيرًا، حبيبتي"، ثم أمسك بيدها وجلس إلى جانب السرير.

"نعم، كنت لقد تصرّفت بشكل أخرق. ما أجمل هذه الزهور، هارولد. أهذا كله لأجلي؟"

قال مومري برقّة: "نعم هذا كله لأجلك، ألا أستحق شيئًا لقاء ذلك؟"

وكانت السيدة مومري قد ابتسمت له، وبذلك شعر السيد مومري بأنه قد حصل على مكافأته أضعافًا مضاعفة.

ثم قالت السيدة مومري: "هذا يكفيك تمامًا، أيها العجوز العاطفي، اذهب الآن، سوف أنهض من الفراش."

قال زوجها: "من الأفضل لك أن تبقي في فراشك، يا غاليتي، وسوف تجلب لك السيدة ستون وجبة العشاء إلى هنا."

احتجت إيثيل، لكنه كان صارمًا وقال لها بأنها لو استمرت في عدم العناية بنفسها، فلن يسمح لها بالذهاب إلى اجتماعات جمعية الدراما، ثم أعلمها بأن الجميع يتلهفون لعودتها، وبأن عائلة ويلبيك سألت عنها، وبأنهم قالوا بأنه ليس بالإمكان أن تسير الأمور بدونها.

قالت إيثيل ببعض الحماس: "هل سألوا عني بالفعل؟ من اللطف أن يرغبوا بوجودي. حسنًا، ربما علي أن أبقى في الفراش. ولكن كيف أمضى زوجي العجوز يومه؟"

"لا بأس، لا بأس."

"ألم تعد تشعر بتلك الآلام في المعدة؟"

"حسنًا، شعرت بالقليل فقط من آلام المعدة، لكنها توقفت تمامًا الآن. ليس هناك ما يستدعي قلقك."

لم يكن السيد مومري قد شعر في اليوم التالي ولا في اليوم الذي تلاه بأية أعراض لتلك الآلام المبرحة، وكان قد اتبع النصيحة التي قرأ عنها في الصحيفة، وبدأ يشرب

عصير البرتقال، وقد شعر بالرضى لنتيجة ذلك العلاج. لكنه كان ليلة الخميس قد بدأ يشعر من جديد بالكثير من التوعّك، مما جعل إيثيل تشعر بالخطر وتُصّر على استدعاء الطبيب. ولم يجد الطبيب بعد أن قام بجسّ نبضه وبالنظر إلى لسانه، بأن الأمر جديًّا. لذا كان بعد أن استفسر منه عما تناوله من أطعمة، قد أدرك بأن وجبة العشاء كانت تتألف من كوارع الخنزير وبأن السيد مومري كان قد تناول بعد ذلك بعض حلوى بالحليب، كما أنه، قبل أن يأوي إلى فراشه، كان قد شرب كأسًا كبيرة من عصير البرتقال، وفق الحمية الجديدة التي كان يتبعها.

قال له الطبيب جريفث ممازحًا:

"هذه هي مشكلتك، قد يكون عصير البرتقال جيّدًا، لكن ما جعل ذلك المزيج ضارًا للكبد هو أنك كنت قد شربته مع الكوارع. لست أدري لماذا، لكن الأمر هكذا دون شك. سوف تتقيد الآن بوصفة طبيّة بسيطة: عليك أن تتناول السوائل فقط لمدة يوم أو يومين، وأن تبتعد عن تناول لحم الخنزير."

ثم استدار إلى السيدة مومري وقال:

"لا تقلقي عليه سيدة مومري زوجك قويّ سليم البنية. ولكن أنت الشخص الذي يحتاج إلى العناية. أنت تعلمين بأنني لا أريد أن أرى هذه الهالات السوداء تحت عينيك. نعم، كانت ليلة مُقلقة بالنسبة إليك بالطبع. هل تتناولين الشراب المُقوّي بانتظام؟ جيّد. حسنًا! لا تقلقي على زوجك. سوف نراه خلال وقت قصير يتجوّل هنا وهناك في الخارج."

تحقق ما قاله الطبيب ولكن ليس على الفور، فقد وجد السيد مومري بأن يتقيد باتباع حِمية خاصة، بحيث يكون كل ما يتناوله من الأطعمة شبيهًا بما يتناوله الأطفال ـ خبز وحليب ولحم عجل ـ وبالإضافة إلى ذلك الشاي الذي تُعدّه السيدة ستون بكل عناية، والتي كانت إيثيل تحمله إليه بنفسها إلى سريره. أما إيثيل فقد ظلّت متوعكة الصحة طوال يوم الجمعة، ثم استطاعت بعد ظهر يوم السبت أن تنزل السلالم وهي ترتجف. كان السيد مومري لا يزال يعاني بالطبع من بعض الوهن العام، لكنه تمكن مع ذلك من الاطلاع ومن التوقيع على بعض الأوراق التي كان السيد بروكس قد أرسلها إليه من المكتب، كما قام بتدقيق دفاتر الحسابات العائلية، ذلك لأن إيثيل لم تكن من سيدات الأعمال، لذا كان السيد مومري يراجع معها تلك الحسابات. كان السيد مومري

بعد أن قام بتسوية حسابات اللحّام والخباز وبائع اللبن وتاجر الفحم، قد نظر إلى زوجته وسألها:

"هل هناك أية أمور أخرى تحتاج للتسوية، حبيبتي؟"

قالت إيثيل: "حسنًا، هناك موضوع السيدة ستون، فهذه نهاية الشهر كما تعلم."

قال: "جيّد، هل أنت مقتنعة بها تمامًا؟"

"نعم، وما رأيك أنت؟ أنا أرى بأنها طاهية جيدة، كما أنها عجوز لطيفة وعطوفة أيضًا. ألا ترى بأنني كنت قد تصرفت بذكاء، بأن استخدمتها هكذا على الفور؟"

قال السيد مومري: "أعتقد ذلك، بالفعل."

قالت زوجته: "كان من العناية الإلهية بالفعل أن تأتي إلينا هكذا بعد أن تركتنا تلك البائسة الحقيرة جين حتى دون أن تُعلمنا برغبتها في ذلك. كنت في غاية الإحباط. كان استخدامها على الفور وبدون شهادات مَرجِعية عبارة عن مقامرة بالطبع، ولكن بما أنها كانت تقوم برعاية إحدى الأرامل فلم يكن من المتوقع أن نحصل منها على مثل تلك الشهادات المَرجِعية."

قال السيد مومري: "لا، لا بالطبع."

وكان بذات الوقت قد بدأ يشعر بالضيق من هذا الموضوع، إلا أنه لم يكن يرغب بالطبع في أن يقول الكثير. كانا ببساطة في حاجة إلى استخدام إحداهن، وقد ثبت نجاح التجربة، لذا لم يعد هناك الكثير مما قد يقال. كما أنه كان قد حاول ذات مرّة أن يقترح على زوجته الكتابة إلى كاهن الأبرشية التي تتبع لها السيدة ستون للسؤال عنها، لكن إيثيل قالت حينذاك بأنه ليس بإمكان الكاهن أن يعلمهم بأي شيء حول الطبخ والطباخين فهذه ليست من مهامه وإنما هي مهمة رئيس الطباخين."

بعد أن قام السيد مومري بحساب الراتب الشهري للسيدة ستون لمدة شهر قال:

"بالمناسبة، عزيزتي، أرجو إعلام السيدة ستون بأنه في حال رغبتها بقراءة صحيفة الصباح قبل قدومي، فسوف أكون مُمتنًا لو أنها تقوم بعد ذلك بطيّ الصحيفة بعناية."

قالت زوجته: "عزيزي! يا لك من عجوز مُتطلّب."

تنهد السيد مومري. فلم يكن بإمكانه أن يشرح لها بأية طريقة بأن من الضروري أن تصل إليه جريدة الصباح أنيقة وجديدة، وحدّث نفسه ـ لا تهتم النساء مطلقًا بمثل هذه الأمور...

كان السيد مومري قد شعر يوم الأحد بتحسن كبير ـ وبأنه قد عاد تمامًا إلى وضعه القديم، وبذلك كانقد استمتع بتناول إفطاره في الفراش وهو يقرأ صحيفة "أنباء العالم". كان مومري يحب أن يطلع على أنباء حوادث القتل بشكل خاص، وكان يشعر باطلاعه على مغامرات الآخرين بنوع من الرعشة المُحببة، وبأنها من الأمور البعيدة عن مجرى الحياة اليومية في ضواحي مدينة "هول".

ثم تبيّن له بأن السيد بروكس كان على حق. فقد تم إعادة حفر قبر والد السيدة أندروس ربّ العمل السابق للطاهية، وثبت بأنه كان بالفعل قد تسمم بالزرنيخ.

نزل إلى الطابق السفلي لتناول العشاء ـ قطعة لحم عجل مع بعض البطاطا المطهوّة مع اللحم، وطبق من حلوى البودينغ الخفيفة، تلى ذلك قطعة من فطيرة التفاح. كان من الممتع، بعد تلك الحمية التي استمرت لمدة ثلاثة أيام، أن يتذوق بعض الدهون الخفيفة غير المُشبعة تمامًا. أكل باعتدال وهو يشعر بالمتعة...

من ناحية أخرى، لم تكن إيثيل تشعر بالكثير من الميل لتناول الطعام، وهي على كافة الأحوال لم تكن من الأشخاص المُغرمين بأكل اللحوم. كانت من النوع الذي يصعب إرضاءه، كما أنهاعلاوة على ذلك، كانت تخشى دومًا، دون داعٍ، أن يزداد وزنها...

وكان قد حدث ذلك في الساعة الثالثة من بعد ظهيرة أحد أيام الربيع الجميلة، حيث كان قد خطر ببال السيد مومري، بعد أن تأكّد بأن اللحم المشوي الذي تناوله قد استقر بشكل جيّد في معدته، أن يقوم بزراعة ما تبقى من الفسائل (الشتلات) في الحديقة.

ارتدى على الفور معطفه القديم المُخصص لأعمال البستنة وبدأ يتجوّل في الحديقة حول الأحواض وهو يحمل معه كيسًا يحتوي على مسطار (أداة للزراعة) وعلى بعض فسائل أزهار الخزامى. لكنه تذكر بأنه يرتدي بنطالًا لا يتناسب مع العمل في الحدائق، لذا وجد بأن من الحكمة أن يضع البساط على الأرض لكي يجثو عليه. تساءل عن المكان الذي ترك فيه ذلك البساط آخر مرة؟ لم يتذكّر ذلك في البداية، ثم خطر بباله بأنه قد يكون قد تركه في إحدى الزوايا تحت المصطبة. انحنى إلى الأسفل وبدأ يبحث عنه في العتمة بين أصص الزهور. نعم، ها هو! لكنه وجد إلى جانبه شيئًا صغيرًا. رفع ذلك الشيء الصغير إلى الأعلى بعناية. نعم، إنها بالطبع بقايا تلك العُشبة الضارة (الزرنيخ).

ألقى السيد مومري نظرة سريعة إلى اللصاقة الوردية اللون التي كتب عليها بأحرف مطبوعة:

"عُشبة قاتلة ـ سُمّ الزرنيخ" ثم شعر بالكثير من الاضطراب فقد تبيّن له بأنها من نفس النوع الذي ارتبط بمقتل السيدة أندروس الضحية الأخيرة التي كان قد قرأ عنها

في الصحف ... وكان بذات الوقت قد شعر ببعض السرور، لأنه أصبح على نحو ما، ولو كان ذلك عن بعد، على تواصل بتلك الأحداث الهامة. لكنه شعر بالضيق عندما تبيّن له بأن سدادة الزجاجة لم تكن مُحكمة الإغلاق تمامًا.

تمتم: "كيف حدث أن تركتها هكذا؟ ليس من المستغرب أن تكون فترة صلاحيتها قد انتهت." رفع السدادة ونظر بداخل الوعاء المعدني، الذي كان يبدو نصف مليء، ثم أعاده إلى مكانه وبعد أن ضغط على السدادة بقوّة لمزيد من الأمان غسل يديه بعناية ذلك لأنه من النوع الذي لا يؤمن بالتعرّض للمخاطر.

لكنه شعر ببعض الارتباك لأنه عندما عاد إلى منزله بعد أن أنهى زراعة الخزامى كان قد وجد بعض الزوار في غرفة الجلوس. صحيح أنه كان يُسرّ دومًا برؤية السيدة ويلبيك وابنها، لكنه كان يُفضّل أن يكون على علم مُسبق بتلك الزيارة، لكي يكون على الأقل قد تخلّص تمامًا من التراب الذي كان على يديه، وعدا عن أن السيدة ويلبيك كانت قد جاءت لزيارتهم دون إعلام مسبق، فهي أيضًا امرأة ثرثارة لا تهتم مطلقًا سوى بما تريد أن تتحدث عنه. وكان أكثر ما تسبب للسيد مومري بالضيق، هو أنها كانت قد اختارت التحدّث عن الموضوع المتعلق بقضية التسمم في لينكولن، فكرّ السيد مومري: "هذا هو الموضوع الأقل تناسبًا مع تناول الشاي، حتى في أفضل الأوقات."

كان اضطرابه الشخصي لا يزال شديدًا، مما جعله يشعر بالغثيان من ذلك الحديث الذي تناول جميع الأعراض الطبية للتسمم. وعلاوة على ذلك، فإن مثل ذلك الحديث لم يكن جيّدًا بالنسبة لزوجته إيثيل، فمن المفروض أن الشخص الذي قام بعملية التسميم لا يزال في الجوار. وفي ذلك ما يكفي لأن يتسبب بالاضطراب لأية امرأة حتى لو كانت امرأة قوية الأعصاب...

كان السيد مومري بنظرة سريعة ألقاها على إيثيل، قد أدرك مقدار ما كانت عليه من شحوب وبأنها كانت ترتجف. فكّر "عليه أن يوقف حديث السيدة ويلبيك بأية طريقة، وإلا فسوف تتكرر الآن تلك المشاهد الهستيرية المفزعة التي حدثت سابقًا."

وبذلك تدخّل فجأة بالحديث وقال بشيء من الفظاظة:

"سيدة ويلبيك، أعتقد بأنه الوقت المناسب للحصول على فسائل نبات الفرستيه، سوف أجلبها لك الآن لو رغبت بمرافقتي إلى الحديقة."

وكان قد لاحظ حينئذ بأن إيثيل تبادلت مع الشاب ويلبيك (ابن السيدة) نظرة تنمّ عن الكثير من الارتياح، فلا بد وأن ذلك الفتى قد تفهّم الوضع وبأنه كان يشعر أيضًا بالضيق من تصرف ولدته المنافي للباقة. نهضت السيدة ويلبيك وهي تلهث قليلًا، واتجهت إلى

الحديقة برفقة مُضيفها. كانت على ما يبدو تشعر بالحماس لتلك المهمة الجديدة. كانت السيدة ويلبيك بينما كان السيد مومري يُقلّم شتلات النبات، قد بدأت تثرثر بمرح عن أمور البستنة، وتُطري عليه وعلى نظافة الممرات المفروشة بالحصى. ثم قالت:

"ببساطة، ليس بإمكاني أن أتخلّص بسهولة من الأعشاب الضارة."

أشار السيد مومري عليها باستخدام قاتل الأعشاب الضارة (الزرنيخ) وأشاد بفعاليته.

حدّقت به السيدة ويلبيك حينئذ وقالت:

"أتقصد أن أستعمل تلك المادة؟" ثم ارتعدت وقالت بحزم "لن أحتفظ بمثل هذه المادة في بيتي حتى لو أعطيتني ألفًا من الجنيهات."

ابتسم السيد مومري وقال: "نحن أيضًا نُبعد هذه المادة عن المنزل، رغم أنني أكون أحيانًا من الأشخاص المُهملين..."

ثم أنهى الحديث وكان قد تذكّر فجأة تلك السدادة غير الثابتة، مما جعله يشعر وكأن مجموعة من الأفكار السوداء قد بدأت تحتشد في أعماق ذهنه. توقف عند ذلك الحدّ، وذهب إلى المطبخ لكي يجلب صحيفة قديمة يُغلف بها تلك الفسائل.

كان من المؤكد أن اقترابهما من المنزل كان قد شوهد من نافذة غرفة الجلوس، لأن ويلبيك الشاب عندما دخلا إلى الغرفة كان قد وقف على قدميه وأمسك بيد إيثيل وهو يتظاهر بوداعها ثم قام بعد ذلك بتدبّر أمر خروج والدته من المنزل بسرعة وبلباقة...

عاد السيد مومري بعد ذلك إلى المطبخ لكي يقوم بإعادة ترتيب الصحف التي كان قد أخرجها من الدرج، ولكي يتفحصّها أيضًا عن كثب. كان هناك ما استوقفه وجلب انتباهه في تلك الصحف، وكان ذلك ما رغب بالتأكد منه. تفحّصها بعناية كبيرة صفحة صفحة. نعم ـ كان على حق. لقد تم، وبكل عناية، قصّ جميع الصور التي نشرت للسيدة أندروس في تلك الصحف،كما تم قصّ كل سطر وكل فقرة كُتبت عن قضية التسمم في لينكولن.

جلس السيد مومري في المطبخ بجانب المدفأة. كان يشعر بأنه بحاجة إلى الدفء، وبأن هناك كتلة باردة تحفر في معدته، وبأن هناك ما كان يخشى التحقّق منه...

حاول أن يتذكّر مظهر السيدة أندروس كما كانت الصحف قد صوّرتها، لكنه لم يكن يمتلك ذاكرة بصرية. تذكّر كيف كان قد قال لبروكس بأن لها وجهًا عطوفًا. ثم حاول بعد ذلك حساب الفترة الزمنية التي مرّت منذ اختفائها. فترة تقارب الشهر كما

قال بروكس...ولكن يجب أن تكون المدة قد تجاوزت الشهر حتى الآن. شهر... ذلك لأنه كان قد سدد لتوه حساب الشهر للسيدة ستون.

إيثيل!...كانت تلك هي الفكرة الأولى التي خطرت بباله. عليه أن يتغلب على شكوكه المريعة هذه بأي ثمن... عليهأن يُجنبّها أية صدمة، أي قلق.... عليه أيضًا أن يتأكد من الأرض التي يقف عليها...فلو كان سيطرد الطاهية الوحيدة المناسبة التي حصلا عليها لمجرد بعض الأفكار الجنونية، ولأجل ذعر لا أساس له، فسوف يكون ذلك من الاستهتار ومن القسوة بالنسبة للامرأتين معًا. لو كان عليه أن يقوم بذلك، فسوف يكون تصرفه اعتباطيًّا وبعيدًا عن الصواب... لا... لا ليس بإمكانه أن يقترح على إيثيل مثل تلك الأشياء المرعبة...وكيفما كان ذلك سيحدث، فسوف تكون هناك مشكلة، ولن تفهم إيثيل ذلك، كما أنه لن يجرؤ مطلقًا على إعلامها بذلك.

ولكن ماذا لو كان هناك بالصدفة بعض الحقيقة في هذا الشك المخيف؟ كيف بإمكانه أن يُعرّض إيثيل إلى ذلك الخطر المروّع، بأن يترك تلك المرأة في المنزل ولو للحظة واحدة؟ ثم بدأ يُفكر بتلك العائلة التي تسممّت في لينكولن، ذلك الرجل الذي مات وتلك المرأة التي نجت بأعجوبة. هل هناك أكثر من مثل هذه الصدمة ومن هذه المجازفة؟

شعر السيد مومري فجأة بالوحدة وبإرهاق شديد، ولكن ربما كان مرضه ما جعل تلك المشاعر تنطلق... متى بدأت تلك الأعراض المرضية لديه؟... كانت النوبة الأولى منذ ثلاثة أسابيع. نعم، لكنه كان دومًا عرضة لمشاكل مِعدية، ولنوبات في القناة الصفراوية... ربما لم تكن تلك النوبات عنيفة جدًا كما أنها لم تكن تستمر طويلًا كما يحدث معه الآن، لكنها كانت دون شك نوبات للقناة الصفراوية...

جرجر نفسه وذهب بتثاقل إلى غرفة الجلوس. كانت إيثيل قابعة هناك في إحدى الزوايا.

قال: "هل أنت متعبة، حبيبتي؟"

"نعم،قليلًا."

"لا بد أن تلك المرأة قد أتعبتك بثرثرتها. كان عليها ألا تتحدث كثيرًا."

"لا" ثم تنقلت برأسها بسأم بين الوسائد وقالت:

"كان كل حديثها عن تلك القضية الرهيبة. لا أحب سماع مثل تلك الأشياء."

"بالطبع لا، ومع ذلك فعندما تحدث مثل تلك الأمور فلا بد من أن يتحدث الناس عنها وأن يُثرثروا حولها. سوف يكون من المريح أن يلقوا القبض على تلك المرأة، لا يميل المرء إلى التفكير..."

"لا أريد التفكير بأي شيء يتعلق بتلك الأمور الكريهة. لا بد وأن تلك المرأة مخلوقة رهيبة..."

"هي رهيبة بالفعل، وهذا ما قاله لي اليوم السيد بروكس..."

"لست أرغب في سماع ما قاله...لا رغبة لدي بسماع أي شيء عن كل ما يتعلّق بهذا الموضوع... أريد أن أشعر بالسكينة ... أريد أن أشعر بالهدوء والسلام !..."

أدرك السيد مومري حينئذ بأنها كانت بداية لنوبة الهستريا.

"سوف أصمت، لا تقلقي، حبيبتي. لن نتحدث بعد الآن عن مثل هذه الأمور المفزعة."

"كلا. لن يفيد التحدث عنها."

وكانت إيثيل في تلك الليلة قد ذهبت إلى فراشها في وقت مبكّر.

كان من المتفق عليه أن يبقى السيد مومري يوم الأحد مع إيثيل إلى أن تأتي السيدة ستون، وكانت إيثيل تشعر دومًا ببعض الضيق من ذلك الأمر، لكن السيد مومري كان قد أكّد لها بأنه يشعر بأنه في وضع جيّد.

كان السيد مومري بالفعل بوضع جيّد من الناحية الفيزيائية، أما بالنسبة لوضعه النفسي، فهو في الحقيقة كان يشعر بالضعف وبالاضطراب. كان قد قرّر أن يُبدي ملاحظة عابرة للسيدة ستون حول الصحف الناقصة لكي يرى ما الذي ستقوله.

كان في الساعة العاشرة إلا الربع قد سمع صوت الطقطقة المألوفة لمزلاج سور الحديقة، ثم اجتازت بعض الأقدام الممر المفروش بالحصى، وسُمع صوت صرير الباب الخلفي، تلاه صوت سُقاطة الباب، ثم صوت إغلاق الباب، وقعقعة المزاليج مما يدلّ على أن السيدة ستون قد أصبحت في المنزل. تلى ذلك فترة مؤقتة من السكون لا بد وأن السيدة ستون تخلع الآن قبعتها، سوف يحين الوقت الآن !...

وبعد أن سمع السيد مومري وقع الأقدام في الممرفُتح الباب وظهرت السيدة ستون أمام عتبة الباب بثوبها الأسود الأنيق. شعر مومري ببعض التردد بأن يقوم بمواجهة مثل تلك المرأة ذات الوجه الممتلئ والعينين اللتين تحجبهما نظارات ذات إطار داكن. ربما

كانت هناك بالفعل بعض القسوة في شكل فمها؟ أم أن هذا لأنها فقدت أكثر أسنان الصف الأمامي.

قالت "سيدي، هل ستطلب مني شيئًا مُحدّدًا لهذه الليلة، قبل أن أصعد إلى الأعلى؟"

"لا، شكرًا لك، سيدة ستون."

"أرجو أن تكون قد بدأت تشعر بالتحسّن، سيدي."

بدا له وكأن تلك اللهفة والاهتمام بصحته من النوع الشرير، كما كانت نظرة عينيها، تبدو له غامضة من خلف النظارات.

"أفضل بكثير، شكرًا لك، سيدة ستون."

"أرجو ألا تكون السيدة مومري متعبة، هل هي متعبة؟ هل عليّ أن أحمل إليها كأسا من الحليب أو غير ذلك؟"

"لا، لا، شكرًا."

كان يتحدث بسرعة مما جعلها تبدو مُحبطة وتقول:

"جيّد جدًا، سيدي، عِمت مساءً."

"عمتِ مساءً. أووه ..! بالمناسبة، سيدة ستون !"

"نعم، سيدي؟"

قال السيد مومري "أووه... لا شيء، لا شيء."

وكان السيد مومري في صباح اليوم التالي قد فتح صحيفته اليومية بلهفة. كان سيشعر بالسرور لو أنه قرأ نبأ القبض على أحد الأشخاص خلال عطلة الأسبوع، لكن لم تكن هناك أية أنباء هامة بالنسبة إليه ـ أقدم رئيس مجلس إدارة شركة توصية على الانتحار ـ أما باقي العناوين فكانت تتعلق بالأحداث المُتعلقة بخسائر الملايين وبإفلاس المساهمين. كان ذلك كل ما في تلك الصحيفة،وكانت مأساة تسمّم العائلة في لينكولن قد نُقلت إلى مجرد نبأ مُبهم في الصفحة الأخيرة من الصحيفة مما يدل على أن الشرطة لا تزال في حيرة من أمرها.

كانت الأيام التالية من أسوأ ما مرّ به السيد مومري، فقد اعتاد على العودة مبكّرًا في الصباح، وعلى التجوّل خِلسة في المطبخ. وهذا ما كان يجعل إيثيل تشعر بالكثير من التوتر. أما السيدة ستون فلم تكن تبدِ أية ملاحظة، وإنما كانت ترقبه، كما يعتقد، بنوع من التسامح وحتى بشيء من التسلية. كان ذلك سخيفًا على كافة الأحوال. فما الفائدة من مراقبة وجبة الإفطار، مادام عليه أن يكون يوميًا خارج المنزل من الساعة التاسعة والنصف صباحًا وحتى السادسة مساء؟

أما في المكتب، فقد بدأ بروكس يُمازحه ويُعلّق على كثرة اتصالاته بإيثيل. لكن السيد مومري لم يُلق بالًا لكل ذلك، وكان يشعر بالطمأنينة لسماع صوتها والتأكّد من أنها بخير وبأمان.

لم يحدث شيء بعد ذلك. و كان السيد مومري في يوم الخميس الذي تلا ذلك، قد بدأ يشعر بأنه كان أبلهًا بظنونه.

وفي تلك الليلة كان السيد مومري قد عاد إلى المنزل متأخرًا، كان بروكس قد أقنعه بالذهاب معه إلى حفل عشاء عِزابي بسيط، أقيم لوداع لصديق لهم كان على وشك الزواج. لكن السيد مومري كان قد ترك الآخرين في الساعة الحادية عشر، فلم يكن يرغب في أن تضيع الليلة بكاملها لأجل تلك الدعوة.

كان جميع من في المنزل نيامًا، لكنه وجد على الطاولة ملاحظة تركتها له السيدة ستون تُعلمه فيها بأن في المطبخ بعض شراب الكاكاو لأجله يحتاج فقط للتسخين. قام السيد مومري بتسخينه في القِدر الذي كان فيه فلم يكن فيه أكثر ما يملأ كأسًا واحدة.

وقف إلى جانب موقد المطبخ وارتشف منهرشفة واحدة دون انتباه، لكنه بعد الرشفة الأولى، كان قد وضع الكأس جانبًا وتساءل هل ما يشعر به كان مجرد تخيّل أم أن فيه

بالفعل بعض الطعم الغريب؟...ثم ارتشف رشفة أخرى من ذلك الشراب، وأخذ يمتصها بلسانه. خُيّل إليه أن فيها مذاق خفيف لمعدن، كان ذلك المذاق حادًا وكريهًا شعر بذعر مُفاجئ وبذلك أسرع إلى حجرة غسيل الأطباق وبصق كل ما في فمه في الحوض. وقف للحظة أو لحظتين دون حراك. ثم قام،بنوع من التروّي الفضولي، كما لو أن حركاته كانت تُملى عليه، بالبحث عن زجاجة فارغة على رفّ حجرة المؤن. غسل الزجاجة في المغسلة بعناية وكان بعد أن أفرغ بداخلها محتويات الكأس، قد دسّ الزجاجة في جيب معطفه وتوجّه على رؤوس أصابعه إلى الباب الخلفي. لم يكن من السهل فتح المزاليج دون أن يصدر عنها بعض الصوت، إلا أنهتمكن أخيرًا من تدبّر الأمر تسلّل عبر الحديقة إلى مصطبة الزرع، وهو لا يزال على رؤوس أصابعه. توقف هناك وأشعل عود ثقاب. كان يعرف تمامًا المكان الذي كان قد خبأ فيه زجاجة الزرنيخ القاتل. لا بد أنها في الخلف تحت الرفّ ووراء القِدر. رفعها بفضول، لكن عود الثقاب سقط وأحرق أصابعه، لكنه استطاع مع ذلك، حتى بدون أن يتمكن من إشعال عود ثقاب آخر، وبمجرد حاسّة اللمس، أن يتبيّن بأن غطاء الزجاجة كان مُتقلقلًا من جديد.

شعر السيد مومري بذعر شديد وهو يقف في ذلك المكان الذي تفوح منه رائحة الأرض بمعطفه وبلباس السهرة الرسمي، وهو حمل معه السدادة في يدّ وعلبة الثقاب في

اليدّ الأخرى. كان يرغب بإلحاح بأن يهرب من هذا المكان، وبأن يُطلع أحدهم عما اكتشفه. لكنه أعاد السدادة إلى مكانها كما كان قد وجدها ثم عاد إلى المنزل، وكان وهو يجتاز الحديقة، قد لاحظ ضوءًا منبعثًا من نافذة غرفة نوم السيدة ستون. شعر بالرعب مما فعله أكثر من كل مما جرى قبل ذلك. تُرى هل كانت السيدة ستون تراقبه؟ كانت نافذة غرفة نوم إيثيل مظلمة. لو كانت قد شربت ما قد يتسبب لها بالموت، لكانت جميع الأنوار مُضاءة، ولكان هناك بعض الحركة في المنزل، قد يكون قد تم استدعاء الطبيب كما حدث عندما أصيب هو بتلك النوبات أو بتلك "الهجمات" وهذا هو التعبير الأصحّ!

وكان مع ذلك قد دخل إلى المطبخ، وهو في تلك الحالة الغريبة من الاتقاد الذهني ومن التيقّظ. غسل الإناء وأعدّ كمية أخرى من شراب الكاكاو وتركها بجانب القدر ثم تسلل بهدوء إلى غرفة نومه.

سمع صوت إيثيل ترحب به على العتبة. قالت:

"هارولد، لقد تأخرت كثيرًا، أيها الفتى الكبير الشقي! هل أمضيت وقتًا ممتعًا؟"

"لا بأس. هل أنت بخير، حبيبتي؟"

"أنا بخير تمامًا، هل تركت لك السيد ستون شرابًا ساخنًا؟ كانت قد أعلمتني بأنها ستفعل ذلك."

"نعم، لكنني لا أشعر بالعطش."

ضحكت إيثيل "آه... هل كانت الحفلة من نوعية تلك الحفلات؟... هل كانت كذلك؟"

لم يحاول السيد مومري الإنكار. وكان قد خلع ملابسه وذهب إلى فراشه، ثم ضم زوجته إلى صدره، وكأنه كان بذلك يحاول أن يتحدّى أن يأخذها منه الموت والجحيم. سوف يتصرّف في صباح اليوم التالي.... نعم ... سوف يتصرف ... شكرًا لله لأنه لم يكن قد تأخر كثيرًا...

كان السيد ديميثروب الكيميائي من الأصدقاء المُقربين لعائلة السيد مومري. كانا في كثير من الأحيان يجلسان معًا في مخزن صغير في سبرينج بانك، ويتبادلان الآراء حول لعب الورق. روى مومري للسيد ديميثروب قصته كاملة وبكل صراحة، وسلّمه زجاجة الكاكاو. هنأه السيد ديميثروب على حكمته وذكائه. وقال:

"سوف تكون النتيجة جاهزة هذا المساء. لو كان الأمر كما تعتقد، فسوف تكون أمامنا قضية واضحة تتطلب منا سرعة التصرف."

شكره السيد مومري وتوجه إلى عمله. لكنه كان طوال اليوم حائرًا، شاردًا، ومُهملًا لعمله. لم يكن لذلك أهميته بالنسبة إلى السيد بروكس الذي كان قد أنهى حفلته بالعربدة حتى الهزيع الأخير من الليل، وبذلك لم يكن في مزاج يُؤهله لأن يكون دقيق الملاحظة.

وكان السيد مومري في الساعة الرابعة والنصف، قد أغلق مكتبه وأعلن بأنه سوف يغادر المكتب في وقت مّبكّر لأن عليه أن يُجري اتصالًا هاتفيًا.

كان السيد ديميثروب متأهبًا لاستقباله وقال:

"ليس هناك أدنى شكّ في الأمر، فقد استخدمت اختبار مارش، إنها جرعة قوية، وليس من المستغرب أن تكون قد أحسست بطعمها. لا بد وأن في تلك الزجاجة أربعة أو خمسة غرامات من الزرنيخ الصافي. انظر هذا هو أنبوب الاختبار. بإمكانك الآن أن تنظر إلى نفسك في المرآة لكي تتأكد من أنك لا تزال على قيد الحياة.

حدّق السيد مومري بالأنبوب الزجاجي الصغير الذي كانت تبدو فيه تلك البقع المشؤومة السوداء والأرجوانية اللون.

سأله الكيميائي "هل ستتصل بالشرطة من هنا؟"

قال السيد مومري "لا، لا... أريد الذهاب فورًا إلى المنزل، يعلم الله بما يجري هناك. لدي فقط ما يكفي من وقت كي أستطيع اللحاق بالقطار."

قال السيد ديميثروب: "حسنًا، اترك الأمر لي. سوف أتصل بهم بدلًا عنك. "

لم يكن القطار المحلي سريعًا بما يكفي بالنسبة إلى السيد مومري. وبينما كانت العجلات تُدوّي في أذنيه كان السيد مومري يهذي:

" إيثيل ... مسمومة ... إيثيل تموت ... هي ميّتة الآن ... إيثيل ... مسمومة ... هي تموت ... لقد ماتت ... وكان وهو في طريقه من المحطة إلى المنزل يركض.

كانت هناك سيارة متوقفة أمام المنزل، وكان مومري عندما شاهدها عن بعد من نهاية الشارع، قد بدأ يركض بسرعة أكبر. ها قد حدث ما كان يخشاه... لا بد أن الطبيب هناك الآن... إنه هو المخبول القاتل... إنه هو لأنه ترك الأمور تتأخر إلى هذا الحدّ..."

لكنه عندما أصبح على مسافة مائة وخمسين ياردة من المنزل، كان قد شاهد الباب الأمامي يُفتح، ثم خرج منه رجل تتبعه إيثيل بنفسها. استقل الرجل سيارته وغادر. وعادت إيثيل إلى الداخل. "شكرًا لله إنها سالمة... سالمة! "

أسرع بالدخول، واستطاع بجهد أن يضع قبعته ومعطفه على المشجب، وأن يلتزم الهدوء. كانت زوجته قد عادت إلى مقعدها بجانب الموقد، استقبلته ببعض الدهشة. ولاحظ بأن على المائدة بعض أدوات الشاي. قالت:

"لقد عدت مُبكّرًا، أليس كذلك؟"

"نعم، هناك بعض الركود في العمل. هل كان هنا من تناول معك الشاي؟"

"نعم، إنه الشاب ويلبيك. لقد جاء لكي يتحدث معي حول بعض الترتيبات الخاصّة بجمعية الدراما."

كانت تتحدث بإيجاز، ولكن بصوت خفيض يملأه الاضطراب.

شعر السيد مومري بالسكينة، هل يمكن أن يكون لذلك الضيف دوره في حمايتها؟ كان وجهه على ما يبدو يوحي بما كان يعتريه من مشاعر، ذلك لأن إيثيل كانت قد نظرت إليه بدهشة ثم قالت:

"ما الأمر هارولد، تبدو غريبًا؟"

قال مومري: "حبيبتي، هناك ما أريد أن أعلمك به."

جلس، وأمسك بيدها بين يديه وقال:

"هو أمر أخشى أن يتسبب لك بالإزعاج..."

وكانت الطاهية قد ظهرت على عتبة الباب في تلك اللحظة وهتفت:

"أووه، سيدتي! أعتذر، سيدي... لم أكن أعلم بأنك هنا. هل ستتناولان الشاي أم عليّ أن أحمل هذه الكؤوس؟ أووه، سيدتي... شاهدت الآن عند بائع السمك شابًا كان قد وصل لتوه من جريمسبي. لقد تم القبض على تلك المرأة الرهيبة ـ تلك السيدة أندروس. أليس هذا جيّدًا؟ كان أكثر ما يُخيفني هو التفكير بأنها لا زالت تتجول في الجوار، لكنهم ألقوا عليها القبض الآن... كانت قد حصلت على عمل مديرة منزل لدى سيدتين مُسنتين، وقد وجدوا السمّ معها. سوف تتم مكافأة الفتاة التي أبلغت عنها. كانوا يبحثون عنها، لكنها كانت طوال الوقت في جريمسبي."

تشبّث السيد مومري بيدّ المقعد. كان كل شيء خطأ فادحًا منه. كان يرغب بالصراخ أو بالبكاء. كما كان يرغب بالاعتذار لتلك المرأة المخبولة التي يملأها الحماس الآن. كان كل شيء خطأً فادحًا منه...

ولكن هناك الكاكاو وما عثر عليه السيد ديميثروب بذلك الاختبار. خمسة غرامات من الزرنيخ. فإذًا من هو؟... من هو الذي ...

حينئذ نظر السيد مومري إلى زوجته، وكان في تلك اللحظة فقط، قد لمح في عينيها شيئًا لم يكن قد شاهده فيهما من قبل...

***

الياقوتة

The Ruby

للكاتب كورادو ألفارو

كانت الصحيفة المحليّة قد نشرت أحد تلك الأنباء القصيرة التي من شأنها أن تجعل مدينة بكاملها تبقى طوال اليوم في حالة من الهياج، والتي لا بدّ أن يكون لها آخر الأمر انتشارها في العالم:

"فُقِدت ياقوتة كبيرة بحجم اللوزة، هي جوهرة لها اسم شهير كما يُقال كما أن لها قيمة مادية ضخمة."

كان أحد أمراء الهنود قد زيّن بتلك الياقوتة عمامته أثناء زيارته لمدينة "نورث أميركان، ولم يكن ذلك الأمير قد اكتشف فقدانه لتلك الياقوتة إلا بعد عودته من زيارة قام بها لأحد الفنادق في ضواحي المدينة...

كان ذلك الأمير قد توجّه إلى ذلك الفندق في سيارة عامة وتحت اسم مُستعار لكي يتهرّب من حارسه الخاص ومن رقابة الشرطة المحليّة.

كانت المدينة بكاملها قد استيقظت في صباح ذلك اليوم على نبأ فقدان تلك الياقوتة كما كانت فرقة الطيران قد استنفرت بكاملها للبحث عنها. كان مئات الأشخاص، وعلى الفور وإلى أن انتصف النهار كان مئات الأشخاص قد بدأوا يُمنّون أنفسهم بالعثور في منطقتهم على تلك الجوهرة ذات الشهرة العالمية ...

سادت المدينة بكاملها موجة من التفاؤل ومن الحماس، وهو الإحساس الذي يتملّك المرء عندما تُعزّز ثروة يمتلكها فرد واحد آمال جميع من حوله. وبما أن الأمير لم يكن قد بادر بسرعة إلى إبلاغ قسم الشرطة عن فقدان الياقوتة، لذا تم استبعاد الاحتمال الأول بأن تكون السيدة التي كانت برفقة الأمير تلك الليلة هي المسؤولة عن فقدان الياقوتة، وبذلك لم يكن من المطلوب أن تحاول الشرطة البحث عن مكان وجود تلك السيدة.

وعندما كان سائق السيارة العامة التي كانت قد أقلّت الأمير قد استدعي لكي يُدلي بإفادته، قال بأن الأمير كان يرتدي تلك الياقوتة الثمينة على عمامته، عندما أقلّه مع السيدة التي كانت ترافقه إلى فندق في الضاحية. كما صرّح بأن تلك السيدة كانت

أوروبية، وبأن الشيء الوحيد الذي كان يُميّزها هو أنها كانت تضع جوهرة بحجم البازلاّء على الطرف الأيسر من أنفها على طريقة أثرياء الهنود.

كانت تلك التفاصيل قد صرفت اهتمام العامة بالجوهرة المفقودة لبعض الوقت، لكنها بذات الوقت أثارت فضولهم لمعرفة المزيد من التفاصيل عن تلك المغامرة العاطفية. كما كان السائق بناء على طلب الشرطة قد بحث عن الجوهرة في كل ركن من سيارته، كماقام أيضًا ببيان هويّة الركّاب الذين تم نقلهم في سيارته خلال الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم حيث أفاد بأنهم كانوا كالتالي:

ـ رجل أعمال أجنبي تم نقله إلى المرفأ كان يبدو بأنه سوف يُبحر على الأغلب إلى أوروبا وكانت برفقته سيدة.

ـ رجل يبدو أنه إيطالي الجنسية، لأنه كان قد خرج من أحد المباني التي تُقيم فيها الجاليات الأجنبية، كما أن ملابسه كانت شبيهة بالملابس التي يرتديها الأشخاص الذين ينتمون إلى مثل تلك الطبقة الاجتماعية، وهي عبارة بنطال عريض، وحذاء متين، وقبعة مُتوضّعة فوق وجه حليق ونظيف تَخطّه التجاعيد. أما أمتعته فكانت تتألف من حقيبة ثقيلة الوزن مُحكمة الإغلاق بواسطة حبل متين، ومن صندوق ثقيل الوزن أيضًا يبدو مصنوعًا من الفولاذ ، وكان قد أبحر ذلك الرجل قد أبحر في ذات اليوم، وكانت

كل شبهة حول ذلك الرجل قد تبدّدت على الفور، فقد تبيّن من مجرى التحقيقات أنه كان يتصّرف كما لو أنه كان يستقّل سيارة أجرة للمرة الأولى في حياته. لم يكن قد تمكن من إغلاق الباب بإحكام، كما كان يلتصق بالنافذة الأمامية طوال الوقت، وكأنه كان بذلك يتجنب أن يدفعه الارتجاج فجأة إلى الوراء نحو الطريق، كما كان يُحدّق في الشوارع بطريقة الشخص الذي كان سوف يُغادر البلدة إلى الأبد.

كان سائق سيارة التاكسي قد ركّز اهتمامه بشكل أكبر على الرجل الذي يُقيم في فندق في الضواحي، وقال بأنه الشخص الذي استخدم السيارة فور مغادرة الأمير الهندي، وبأنه كان قد طلب من السائق أن يقوم بنقله إلى حيّ العاملين الايطاليين، وبأنه الشخص الذي أخذ مكان الأمير بعد ذلك .تم البحث عبثًا عن الراكب المذكور الذي كان سائق السيارة العامة قد أعطى أوصافه بالتفصيل، والذي كان على الأغلب من المقيمين المحّليين، ولكن لم يتم العثور عليه. وكما أنه الإضافة إلى ذلك لم يكن قد لبّى النداء الذي نُشر في الصحف اليومية عن تخصيص جائزة ضخمة لمن يجلب تلك الجوهرة، مما كان بحد ذاته الدليل المنطقي بأنه ليس الشخص الذي استولى على تلك الجوهرة الشهيرة... ومع ذلك، وبما أن الجوهرة المفقودة كانت ذات شهرة عالمية، وبأنه كان من

السهل أن يتم التعّرف عليها، لذا كان الأمل بأن يتم العثور عليها وبأن تظهر في النور في يوم من الأيام قد ظلّ قائمًا.

في ذلك الوقت كان المهاجر في طريقه إلى موطنه الأصلي الواقع في منطقة ريفية جنوب إيطاليا، بعد غياب دام خمس سنوات، ولم تكن لديه بالطبع أية فكرة عن كل ما يجري. كان يحمل معه مجموعة متنوّعة من أكثر الأشياء غرابة، حتى بالنسبة لشخص مهاجر:

حقيبة مصنوعة من الجلد الصناعي كان قد اعتقد بأنها من الجلد الطبيعي، تحتوي على قمصانه الداخلية التي كانت جميعها نظيفة وَمَكوية، دستة (اثنا عشر) من أقلام الحبر، كان في نيته أن يبيعها في منطقة إقامته ناسيًا بأن غالبية سكانها كانوا من الرعاة وبأن عدد من يستطيع استخدام القلم والورقة لا يتجاوز الاثنا عشر شخصًا. كانت معه بالإضافة إلى ذلك، مجموعة من مفارش المائدة المطرّزة، وجهازين لتصفيف الشعر كان قد استعملهما في تصفيف شعر زملائه في العمل، هما عبارة عن شيء معدني على شكل المسدس، لكنه لا يُستخدم لإطلاق النار. اثنتا عشرة قطعة من قماش أمريكي الصنع، ومن بعض الأشياء غير المألوفة التيكان ينوي إثارة إعجاب وإبهار زوجته وأولاده وأصدقائه بها. أما الجزء الثقيل الوزن من أمتعته فكان عبارة عن صندوق

مصنوع من الفولاذ المُقوى، يتم تشغيل القفل المثبت عليه باستخدام كلمة مركّبة من ستة أحرف هي "أنينا"، وأما بالنسبة للنقود، فكان يحمل معه ألف دولار بما فيها الثلاثمائة دولارًا التي كان عليه أن يُسدّدها لمن كان قد استدانها منه لتغطية نفقات سفره. كما كان يحمل في جيب سترته قطعة بحجم اللوزة من الكريستال الأحمر اللون ذات أسطح عديدة برّاقة، كان قد عثر عليها بالصدفة في السيارة العامة التي أقّلته إلى الميناء، دون أن تكون لديه أية فكرة عما تُستخدم لأجله تلك القطعة من الكريستال أو من البلّور الصافي.

كانت أصابعه قد لمستها وراء وسائد المقعد الذي كان يجلس عليه، وكان قد احتفظ بها كتعويذة قد تجلب له الحظ في المستقبل، أو ربما لكي يكون بإمكانه تعليقها في سلسلة ساعته على سبيل الزينة... كان من المستغرب ألا يكون فيها أي ثقب، لذا لا يمكن أن تكون من تلك الأحجار الكبيرة التي تكون عادةً في العقود التي تزين بها سيدات المدينة أعناقهن. ومع ذلك فمن شأن مثل تلك الأشياء الصغيرة المُتنوّعة التي يختارها المرء قبل مغادرته لبلد أجنبي، أن تكتسب لديه قيمة تذكارية غير عادية، وأن تمنحه أينما كان شيئًا يُشبه التذوّق عن بعد ونوعًا من الحنين. وكان ذلك ما شعر به

ذلك المهاجر نحو قطعة الكريستال التي كان يحملها معه، تلك القطعة الباردة المَلمس نصف الشفافة والصافية المظهر، التي تُشبه قطعة من حلوى السكر.

ثم بدأ المهاجر يتخيّل بأنه، بعد عودته، أنشأ بالمُقتنيات المُتنوّعة التي يحملها معه، متجرًا على مستوى مُتواضع. وبأنه سوف يقوم بتثبيت الصندوق المتين على الجدار، ويضع طاولة طويلة لكي يعرض عليها البضائع. سوف عرض أقلام الحبر داخل علبة، وسوف يضع على تلك الطاولة مجموعة مفارش المائدة المطرّزة والأقمشة التي طّبع عليها تمثال الحريّة، وعلى أطرافها صور من ساهموا في تأسيس أمريكا الحرّة، والتي طُرّزت عليها مربعات من نجوم بيضاء وزرقاء اللون.

كان ذلك المهاجر قد أمضى خمس سنوات في اقتناء تلك المجموعة من الأشياء الصغيرة، كي يحملها معه عندما سيعود إلى موطنه الأصلي، وكان يختار منها ما يعتقد بأنه، أو بالأحرى ما كان يبدو له، من الأشياء غير المألوفة بالنسبة لأناس يقطنون في المنطقة التي يعيش فيها، على الرغم من أنه كان قد اختارها من البضائع الرخيصة أومن الأشياء المستعملة التي يعلم الله من أين تأتي وإلى أين تذهب خلال دورتها بين الشعوب المهاجرة...

وهكذا فهو ذلك الرجل المعدم الذي بدأ حياته عاملًا، سوف يتحوّل إلى تاجر وسوف يصبح له متجره الذي يحتوي على مختلف أنواع السلع...

كان ما وضع المهاجر أمام تلك السلسلة من الأفكار، تلك العلبة المتينة. كما كان ما يجعله أيضًا بأنه سوف يصبح تاجرًا ومن الأغنياء هو أن ما لديه في جيبه الآن من القطع الأجنبي سوف يتحوّل، عندما سيتم استبداله بالعملة المحليّة، إلى مبلغ كبير من النقود الفضيّة، وكان يقوم في ذهنه بتلك العمليات الحسابيةمما شغله عن التفكير بالأوقات العصيبة التي مرّ بها...

كان المهاجر يشعر بنوع من السرور الطفولي، كلما لمست أصابعه تلك القطعة الحمراء من الكريستال الصافي، التي بدأ يعتبرها بمثابة التعويذة، والتي أصبحت بالنسبة إليه أشبه بالكثير من الأشياء العديمة الفائدة التي نتعلّق بها طوال حياتنا، والتي لا نستطيع التخلّص منها، إلى أن تُصبح في النهاية جزءًا من أنفسنا، وحتى أنها قد تصبح بمثابة المتاع الموروث لعائلتنا، ذلك لأن الأشياء التي لها أهميتها بالنسبة إلينا، والتي نعتني بها أو نخبئها قد تزول، ولكن مثل تلك الأشياء تعتبر من النوع لا يضيع أبدًا، فهي من الأشياء التي تعود إليها ذاكرتنا كل حين ...

فعلى سبيل المثال، كانت تلك القطعة الزجاجية قد ذكّرته بعد بضعة أيام من عودته، باليوم الذي عاد فيه إلى موطنه على ذلك المركب، وبالجزء الداخلي من السيارة العامة التي كان قد استقلّها، وبالشوارع التي كانت تنطوي أمامه ببطء أشبه بالمشهد الأخير في عرض مسرحي...

وهكذا كان ذلك المهاجر قد أسس متجره في الجهة العليا من البلدة التي يُقيم فيها الفلاحون والرعاة. بأن قام بعد مضي خمسة عشر يومًا على وصوله، بتأثيث الطابق السفلي من البيت الريفي الذي يُقيم فيه. وضع منضدة طويلة لعرض البضائع وبعض الرفوف التي وجدت مكانها عليها تلك الرزم الزرقاء التي تحتوي على الدقيق وعلى القماش القطني الأزرق الناعم (الموسلين) الذي تحتاجه ربّات البيوت، ووضع في زاوية أخرى من المتجر برميلًا خشبيًا يحتوي على النبيذ. كما وضع على بعض الحمّالات الخشبية، بعض الأواني الخزفية التي تحتوي على الزيت، وقام بتثبيت الصندوق المتين على الحائط. كان المهاجر العائد يشعر بالكثير من الفخر عندما يفتح أمام زبائنه، ذلك الصندوق الذي يحتفظ بداخله بدفتر الحسابات، وبمفكّرة تحتوي على قائمة بجميع السلع التي تم بيعها بالدين، والتي من المفترض أن يتم سداد قيمتها في موسم الحصاد أو بعد انتهاء

معرض الحيوانات. وبذلك أصبحت له بالتدريج تجارته مثلها مثل غيرها من الأعمال التجارية وأصبح لها طابعها الخاص به.

كانت هناك على جدران المتجر بعض الخطوط التي خطّتها زوجته، التي لا تُجيد الكتابة، بالطباشير والتي سجّلت بموجبها البضائع والسلع التي كان بعض الزبائن يحصلون عليها بالدين. كما أصبح بإمكان ابنه الناشئ الذي كان لا يزال مواظبًا على المدرسة، أن يكتب أسماء الزبائن في السجل الكبير وفي دفتر اليومية، وكان بذلك قد بدأ يأخذ أيضًا دوره في المتجر. كما كان يتولى إدارة المتجر بكل كفاءة بعد ظهيرة الأيام الحارّة التي تتوقف أثناءها جميع الأعمال التجارية، ما عدا ما قد يطلبه بعض الأشخاص من مشروبات مُثلّجة بعد استيقاظهم من استراحة بعد الظهيرة.

وشيئًا فشيئًا، بدأ خفّ زوجته الضيق الأمريكي الصنع يتجعّدأكثر فأكثر (تعبير مجازي) كما بدأت تظهر أيضًا بمظهر زوجة صاحب المتجر البشوشة والشديدة الحرص. وكان مصير مخزون الأقمشة الجديدة التي كان زوجها قد جلبها معه أن أصبحت من البضائع المُخزّنة، وكان كل ما تبقى في خزانة الملابس هي تلك القبعة المتينة التي لا تزال تبدو جديدة. تم توزيع مفارش المائدة الأمريكية الصنع كهدايا على الزبائن المميّزين. وأما بالنسبة لأقلام الحبر فلم يرغب بها أحد. كان أحدهم قد استعملها دون لأن يعرف

قيمتها، وذلك بقيت أجزائها مُبعثرة في العلب. لكن صاحب المتجر الذي كان له قلب صبي، اعتقد بأن ريش تلك الأقلام كانت من الذهب الخالص، لذا حافظ عليها كما يحافظ الولد الصغير على الأوراق المُلوّنة التي تُغلّف بها قطع الشوكولا...

كان المهاجر قد ألصق أيضًا على جدار المتجر صحيفة قديمة مطبوعة باللغة الإنكليزية، ولم يكن يرغب التخلّي عنها، حتى عندما كان في حاجة لبعض أوراق التغليف، وإنما كان بين الفينة والأخرى يتفحّصها بعناية، ذلك لأن صور الإعلانات كانت تُذكّره بالأشخاص الذين كانوا يُدخنون السجائر ذات الأطراف المُذهبة، وبأولاد الشوارع، وبالحاكي. و في الحقيقة أنها كانت تُذكّره أيضًا بجميع ما كان شاهده من مظاهر الحياة في المناطق الرئيسية من المدينة التي كان فيها أثناء المناسبات النادرة التي تمكّن فيها من زيارتها.

أما بالنسبة إلى قطعة الكريستال، فقد تُذكّرها في أحد الأيام وأعطاها لولده الذي كان يحتفل مع أصدقائه بيوم ميلاده. حيث كان الأولاد في تلك الحقبة من الزمن يلعبون لعبة هي عبارة عن رمي الأشياء على بعضها، وفتح القلاع المصنوعة من الجوز، وذلك بأن يتم رمي قطعة الجوز الأكبر حجمًا عليها فتقع. وكان الأسلوب الاعتيادي هو

اختيار قطعة الجوز الأكبر حجمًا بعد ثقبها بعناية وسحب ما بداخلها من نواة، لكي يتم ملئها بكرات زجاجية صغيرة.

وكانت قطعة الكريستال تلك هي القذيفة الأنسب لتحقيق الغرض المطلوب، لكونها ثقيلة الوزن بما فيه الكفاية لإصابة الهدف. أما بقية الصبية فكانوا يستخدمون بعض القطع الزجاجية التي ينتزعونها من زجاجات العصير والتي كان لها ميّزة كونها كروية الشكل. كان ابن صاحب المتجر يقول لرفاقه دومًا بأن قطعة الكريستال التي كانت لديه هي الأكثر جمالًا لكونها حمراء اللون ولأنه تم جلبها من أمريكا. وكان مولعًا بها كما يُولع الأولاد بالأشياء المُماثلة ويحرصون على عدم إضاعتها. أما والده فكان في كثير من الأحيان عندما يتأمل تلك التحفة التي أصبحت أداة للعب، يهيم بأفكاره حول الأوهام التي كان يُمنّي نفسه بها عندما كان يسافر من هنا إلى هناك في هذا العالم، حيث كان يبدو له بأن العالم لا بد أن يكون مليئًا بالأشياء الثمينة التي تضيع والتي يعثر عليها المحظوظون. لذا كان على الدوام، يتحسّس بأصابعه ما هو تحت الفُرش في قَمرات السفن البخارية، أو ما هو وراء الوسائد المصنوعة من الجلد في السيارات العامة الكبيرة، أو في العربات التي يستقلّها. لكنه لم يكن يعثر على أي شيء. نعم! كان ذات مرّة قد حصل

على مثل تلك الفرصة عندما عثر في الشارع على خمسة دولارات، وكان ذلك على ما يذكر في أحد الأيام المُمطرة...

***

البعض من رغوة الصابون فقط، وهذا كل شيء

Just lather, that's all

للكاتب إيرناندو تيليز

لم يقل شيئًا عندما دخل. كنت حينذاك أمرّر أفضل أمواس الحلاقة لدي على المِشحذة الجلدية من الأمام إلى الوراء. وكنت عندما عرفته، قد بدأت أرتجف، لكنه لم يلحظ ذلك... استمريت في شحذ الموسى، وأنا آمل أن أخفي بذلك ما كنت فيه من انفعال. اختبرت مدى حدّتها على لحم إبهامي، ثم أمسكت بها ورفعتها إلى الضوء. كان في ذلك الوقت قد خلع حزام الدرع الرصاصي الذي يتدلّى منه مسدسه. قام بتعليقه على المِشجب ووضع قبعته العسكرية فوقه، ثم التفت إلي وهو يُرخي ربطة عنقه وقال:

"الجو حار كالجحيم، احلق لي."

ثم جلس على الكرسي. قدّرت بأنه لم يكن قد حلق ذقنه منذ أربعة أيام. كانت الأيام الأربع الأخيرة قد انقضت في حملة ملاحقته لمجموعتنا. كان وجهه شديد الحمرة وقد أحرقته الشمس. بدأت بتحضير الصابون بعناية. قطعت منه عدة شرائح وغمستها في الكوب، ثم مزجتها مع قليل من الماء الدافئ، وقمت بتحريكها بالفرشاة، وبذلك بدأت الرغوة تُزبد على الفور. قال:

"لا بد وأن لبقية الرفاق في جماعتنا مثل هذه اللحية الطويلة."

استمريت في تحريك رغوة الصابون. واستأنف حديثه:

"إلا أننا كنا قد قمنا بعمل جيّد، أتعلم، استطعنا النيل من الرئيسيين منهم. أحضرنا معنا بعض من ماتوا أثناء الحملة، وألقينا القبض على من تبقّى منهم من الأحياء، لكنهم سيموتون قريبًا جدًا."

سألته: "ما هو عدد من ألقيتم القبض عليهم؟"

أجابني: "أربعة عشر. كان علينا أن نذهب إلى عمق الغابات لكي نعثر عليهم، لكنّا سوف ننال منهم جميعًا، لن يخرج أحد منهم حيًّا، ولا حتى رجل واحد."

كان عندما شاهد في يدي الفرشاة التي تُغطّيها رغوة الصابون، قد مال بكرسيه إلى الخلف. كان علي أيضًا أن أضع عليه الملاءة. لا شك بأنني كنت مُنفعلًا. أخرجت الملاءة من الدرج وربطتها حول عنق زبوني. لم يكن ليتوقّف عن الكلام. لا بد وأنه كان يعتقد بأنني أتعاطف مع حزبه. قال:

"لا بد أن البلدة بكاملها قد لُقّنت درسًا بما جرى ذلك اليوم."

أجبته وأنا أثبّت ربطة الملاءة حول عنقه المُتعرّقة الداكنة اللون "نعم."

ثم قال: "كان عَرضًا جيّدًا، أليس كذلك؟"

عدت إلى الفرشاة وأجبته: "نعم كان جيّدًا جدًا."

أغمض الرجل عينيه بحركة تدلّ على شدّة التعب، وجلس بانتظار اللمسات الباردة لرغوة الصابون. لم يكن يومًا أقرب إلي مما هو عليه الآن. كنت قد صادفته ذات مرّة وجهًا لوجه لثانية واحدة فقط في اليوم الذي كان فيه قد أعطى أوامره لجميع أهل البلدة بالتجمّع في فناء المدرسة لمشاهدة المتمردين الأربعة الذين تم شنقهم هناك. لكن مشاهدتي لتلك الجثث المُشوّهة، كانت قد شغلتني عن الالتفات إليوجه الرجل الذي كان قد أعطى أوامره بذلك، هذا الوجه الذي أنا الآن على وشك الإمساك به بين يدي. لم

يكن وجهه بالتأكيد من الوجوه البغيضة، كما أن هذه اللحية، التي تجعله يبدو أكبر بقليل من سنه الحقيقي تُناسبه تمامًا. اسمه توريس، الضابط توريس. رجلٌ يتمتع بخيال واسع، فمن الذي قد يخطر بباله فكرة شنق المتمردين وهم عراة، ومن ثُم التدرّب على إطلاق النار من المسدسات على مناطق مُعيّنة في أجسامهم؟

بدأت أنشر الطبقة الأولى من الصابون على لحيته، بينما استمر في التحدث إليّ وهو مُغمض العينين، قال: "بإمكاني أن أستغرق بالنوم على الفور ودون أي عناء، لكن هناك الكثير مما سوف أقوم به بعد ظهر اليوم. "

توقفت عن نشر رغوة الصابون، وسألته وأنا أتظاهر بعدم المبالاة "فرقة إعدام أخرى؟"

قال: "شيء من هذا القبيل، ولكن بأقل من السرعة." استمريت في نشر الصابون على لحيته، وبدأت يداي ترتجفان من جديد. لم يكن بإمكان الرجل أن يشعر بذلك، وكان ذلك في صالحي، إلا أنني كنت بالفعل أفضّل عدم مجيئه إلي. يبدو أن العديد من أعضاء حزبنا المُنشقّ كانوا قد شاهدوه وهو يدخل. عدو تحت سقفك يفرض عليك ظروفًا معينة. كان علي أن أقوم بحلاقة تلك اللحية بلطف وعناية، شأنها شأن لحية أي زبون آخر، وأن أتوخّى الحذر لكي أمنع إراقة أية نقطة من الدماء، وأن أحرص على أن لا تفلت

أية خصلة من الشعر من موسى الحلاقة، وأن أحرص على أن يصبح الجلد نظيفًا ناعمًا بحيث يكون بإمكاني أن أمرّر عليه ظهر يدي دون أن أشعر بأن فيه أية شعرة. صحيح أنني سرًا من المتمردين، إلا أنني بذات الوقت حلاق ذو ضمير، فخور بإتقاني لمهنتي، وهذه اللحية التي طالت لمدة أربعة أيام تستحق مني التحدّي.

تناولت الموسى، فتحت الطرفين الواقيين وحرّرت الفرشاة، وبدأت بالحلاقة بدءًا من أحد الطرفين المتوهّجين من وجهه وإلى الأسفل. استجابت الموسى بشكل جيّد. كانت لحيته صلبة وقاسية. لم تكن طويلة جدًا لكنها كانت كثيفة، ثم بدأ الجلد يظهر شيئًا فشيئًا. كانت الموسى تُزيل الشعر يصدر عنها الصوت المعتاد لتجمّع الشعر مع الصابون على طول شفرة الحلاقة. توقفت للحظة لتنظيفها، ثم تناولت المِشحذة لكي أقوم بشحذ الموسى من جديد، ذلك لأنني حلاق جيّد ينجز الأمور على الوجه المطلوب.

فتح الرجل عينيه الآن لأنه كان قد أبقاهما مُغمضتين. أخرج إحدى يديه من تحت الملاءة وتحسّس بها وجهه في المنطقة التي تم تنظيف الصابون عنها ثم قال:

"تعال في الساعة السادسة من اليوم إلى المدرسة"، سألته وأنا أرتعد لشدة الخوف:

"هل هو ذات الشيء الذي كان قد جرى في ذلك اليوم؟" أجاب: "قد يكون ذلك أفضل."

أعدت السؤال: "ما الذي تنوون القيام به؟"

قال: "لست أدري بعد، لكنّنا سوف نعبَث بهم."

ثم مال من جديد إلى الخلف وأغمض عينيه. اقتربت منه والموسى بيدي وغامرت بسؤاله بحياء:

"هل تنوي معاقبتهم جميعًا؟"

أجابني: "جميعًا."

كانت رغوة الصابون قد بدأت تجفّ على وجهه، لذا كان علي أن أُسرِع. نظرت إلى الشارع من خلال المرآة. كان الشارع على ما هو عليه على الدوام، متجر الخضار وبداخله ثلاثة أو أربعة من الزبائن فقط. نظرت إلى الساعة، كانت تُشير إلى الثانية وعشرين دقيقة من بعد الظهر. استمرت الموسى بمرورها على شعر الطرف الآخر المتوهّج من وجهه، من الأعلى إلى الأسفل. لحية قاسية وكثيفة. كان عليه أن يتركها تطول أسوة ببعض الشعراء أو الكهنة، وكان ذلك سوف يناسبه تمامًا، وبذلك لن يكون بإمكان

الكثيرون منا التعرّف عليه، وهذا ما سيكون في صالحه كثيرًا. كنت أفكّر وأنا أحاول حلاقة منطقة الرقبة بأن عليّ بالتأكيد، وفي هذه المنطقة بالذات، أن أُعمل الموسى بحِنكة، ذلك لأن الشعر فيها أكثر نعومة وعلى شكل حلقات صغيرة ـ ذقن جَعِدة ـ لكي لا تُفتح إحدى المسام وتنفر منها الدماء. على حلاق جيّد مثلي، وكنت دومًا أتفاخر بذلك، ألا يتسبب بذلك على الإطلاق لأي زبون. كما أن زبوني هذا زبون من الدرجة الأولى. كم كان عدد من قتلهم من بيننا؟... وكم كان عدد من حَكم عليهم بالتشويه؟... كان من الأفضل ألا أفكر بذلك. لم يكن توريس يعلم بأنني عدوه، لا هو ولا الآخرون. فهذا الأمر من الأسرار التي يتقاسمها عدد قليل جدًا من جماعتنا، وسوف أتمكّن بذلك من إعلام المتمردين بما سيفعله توريس في البلدة وبما يُخطط له، كلما كان سيتولّى إحدى الحملات لملاحقة المتمردين. سوف يكون من العسير علي أيضًا أن أشرح لهم كيف كان بين يديّ، وكيف تركته يُغادر المكان بكل هدوء، وبأنني أيضًا قد حلقت له ذقنه...

كنت قد انتهيت تقريبًا من حلاقة الذقن وبذلك بدا أصغر سنًا، ولم تعد تظهر عليه آثار السنوات كما كان تبدو عليه عندما جاء إلي. أعتقد أن هذا ما يحدث دومًا عندما يزور الرجال صالونات الحلاقة. كان توريس يُجدّد شبابه بالتدريج مع حركة الموسى، وكان

شبابه يتجدد لأنني حلاق جيّد بل لأنني أيضًا أفضل حلاق في كل البلدة، هذا لو كان لي الحق في أن أقول ذلك...

كمية أكثر من رغوة الصابون هنا تحت تفاحة آدم، على الشريان الكبير، كم ازدادت حرارته!... يبدو أن توريس كان يتعرّق كثيرًا، كما كنت أنا أيضًا أتعرّق كثيرًا. لكنه على ما يبدو لم يكن يشعر بالخوف، فهو الآن رجل هادئ، لا يُفكّر حاليًا بما سوف يفعله مع السجناء بعد ظهر اليوم.

كما أنه ليس بإمكاني أنا أيضًا التفكير وأنا بيدي هذه الموسى التي كنت أمرّرها وأعيد تمريرها على جلده، وأحاول منع تسرّب الدماء من المسام. لعنه الله!... لِم جاء إلي؟... فأنا من المتمردين لكنني لست قاتلًا، رغم أن من السهل جدًا علي الآن أن أقتله، وهو يستحق ذلك. هل يستحق ذلك؟ لا! ...لعن الله الشيطان!... ليس هناك من يستحق أن يُضحّي المرء بنفسه لأجله بأن يصبح قاتلًا. ما الذي سوف تستفيده من ذلك؟ لا شيء. سوف يأتي بعده آخرون، ثم أيضًا آخرون، والأوائل سوف يقتلون من يأتون بعدهم، وهذا ما سيفعله الذين سيأتون بعدهم، وسوف تسير الأمور هكذا إلى أن يتحوّل كل شيء إلى بحر من الدماء. بإمكاني الآن أن أقطع هذه العنق هكذا "زب! زب!" ولن يكون لديه حتى الوقت للاحتجاج. و بما أنه مُغلق العينين، فلن يكون بإمكانه أن يرى لمعان نصل

السكين وهي تقترب من عنقه، ولا حتى تلك اللمعة في عيني. ولكن، ها أنا أرتجف أشبه بقاتل حقيقي...سوف تتدفق الدماء من عنقه وسوف تسيل على خديه، على الملاءة... على يديّ...على الكرسي... وعلى الأرض... وسوف يكون علي أن أغلق الباب. سوف تستمر الدماء في التدفّق على الأرض، ساخنة، أشبه بجدول أحمر اللون إلى أن تصل إلى الشارع، ولن يكون بالإمكان إيقافها أو السيطرة عليها...

أنا مُتأكّد من أن ضربة قاسية واحدة، ومن أن طعنة عميقة واحدة سوف تمنع عنه أي ألم، لن يتعذب... ولكن ما الذي سأفعله بالجثة؟ وأين سأخبئُها؟ سوف يكون علي أن أهرب، أن أترك ورائي كل شيء، وأن ألتجئ إلى مكان بعيد، بعيد، بعيد جدًا. لكن زملاء الضابط توريس سوف يتَتَبّعوني إلى أن يعثروا على قاتله. وسوف يقولون:

"هذا هو قاتل الكابتن توريس. كان ذلك النذل قد أطاح بعنقه وهو يحلق له ذقنه."

ولكن ومن ناحية أخرى، سوف يذكرني جميع رفاقي، وسوف يُطلقون علي لقب "المُنتقم لنا جميعًا" هذا هو الاسم الذي سوف يذكرني به الجميع. سوف يقولون:

"كان حلاق البلدة ولم يكن أحدنا يعلم بأنه يُدافع عن القضية."

ولكن لِم كل هذا؟ أقاتل أو بطل؟ مصيري مُعلق الآن على حدّ هذه الموسى. أستطيع أن أمرّرها بيدي على عنقه أكثر بقليل، أو أن أضغط عليها بشكل أقوى وأغمدها في عنقه... سوف يسمح الجلد بذلك، كما هو الوضع مع الحرير، أو مع المطاط، أو مع مِشحذة الموسى. فليس هناك ما هو أكثر ليونة من جلد الإنسان... هنا توجد دومًا دماء... دماء على استعداد للسيلان... شفرة كهذه لن تخيب، وهي الأفضل لدي. لكنني لا أريد أن أكون قاتلًا... لا... يا سيدي! أنت جئت إلي لكي تحلق ذقنك، وأنا الآن أقوم بواجبي بشرف. لا أريد أن ألطخ يدي بالدماء. البعض من رغوة صابون فقط، وهذا كل شيء. أنت جلاد وأنا لست سوى حلاق. لكل شخص منا دوره في سير الأمور. هذه هي الحقيقة. لكل منا مكانه الخاص به.

نهض الرجل من على كرسيه وكانت ذقنه أن تم تشذيبهاقد أصبحت نظيفة وناعمة. نظر إلى المرآة، ثم فرك جلده بيديه، وشعر بأنه قد أصبح نَضِرًا وكأنه قد جدّد شبابه.

قال توريس "شكرًا" ثم اتجه إلى المِشجب. تناول حزام مسدسه وقبعته. نظر إليّ، يبدو أنني كنت شاحبًا، كما أن قميصي كان قد تبلّل تمامًا بالعرق. وكان توريس بعد أنهى ترتيب كمره، وتثبيت وضع مسدسه في الجيب الجلدي، قد لمس شعره مرة أخرى بحركة آلية. وضع قبعته العسكرية على رأسه، ثم أخرج من جيب بنطاله بعض القطع النقدية

كي يُسدّد لي ثمن خدماتي، لكنه بعد أن توجّه نحو الباب، كان قد توقّف للحظة أمام المدخل، ثم استدار إلي وقال:

"قالوا لي بأنك سوف تقتلني. لذا جئت إليك لكي أكتشف الحقيقة بنفسي ... القتل ليس بالشيء السهل. بإمكانك أن تثق بما أقوله." ثم توجّه نحو الشارع...

***

الضيف

The Guest

للكاتب ألبير كامو

كان ناظر المدرسة يرقب الرجلين اللذين كانا يتسلقان الطريق باتجاهه. كان أحدهما على ظهر حصان، بينما كان الآخر على قدميه. لم يكونا قد وصلا بعد إلى المرتفَع الخطر الذي يقود إلى مبنى المدرسة القائم على طرف الهضبة. كان الحصان يتعثر من حين لآخر وكانا يبذلان الكثير من العناء للتقدّم نحو الأمام بكل بطء بين الصخور وفوق الصخور المتراكمة على الامتداد الواسع لسفح الجبل المرتفع المهجور...

كان بإمكان دارو دون أن يسمع أي شيء بعد، أن يشاهد بخار التنفس المُنبعث من ثقوب أنف الحصان. كان يبدو بأن أحد الرجلين على الأقل يعرف المنطقة. كانا يتبعان الآثار المرتسمة على الطريق، رغم أنها كانت قد اختفت منذ أيام تحت طبقة من الثلج

الأبيض القذر. قدّر ناظر المدرسة الوقت الذي سوف يستغرقه وصولهما إلى المدرسة بما لا يقلّ عن نصف ساعة. وبما أن الطقس كان باردًا جدًا، لذا عاد إلى المدرسة لكي يجلب معطفه.

اجتاز قاعة التدريس الفارغة الشديدة البرودة حيث كانت الأنهار الأربعة في فرنسا، التي رسمت منذ ثلاثة أيام على السبورة وبأربعة ألوان مختلفة من الطباشير، لا تزال تجري نحو مصبّاتها ...

كان الثلج قد سقط فجأة هذا العام بعد ثمانية أشهر من الجفاف وفي منتصف شهر تشرين الأول (أكتوبر) وبدون أي انتقال من فصل ممطر إلى الثلج، وبذلك توقف التلاميذ، الذين لا يزيد عددهم عن العشرين، وهم من المقيمين في القرى المبعثرة فوق سفح الجبل، عن المجيء إلى المدرسة لكنهم لا بدّ أن يعودوا إليها مع تحسّن الطقس. أما دارو فهو يكتفي حاليًا بتدفئة الغرفة الوحيدة المخصصّة لإقامته، وهي الغرفة التي تُحاذي قاعة التدريس والتي تُطل على سفح الجبل من الناحية الشرقية كما تُطلّ نافذتها على الجهة الجنوبية من السفح أسوة بنافذة قاعة التدريس.

تبعد المدرسة من تلك الجهة بضعة كيلومترات فقط عن النقطة التي يبدأ فيها السفح بالانحدار نحو الجنوب، وبذلك بإمكان المرء، أثناء الجو الصافي، أن يُشاهد من هناك الكتل الأرجوانية لسلسلة الجبال في الفجوة التي تنفتح فيها على الصحراء.

كان دارو بعد أن شعر بعض الشيء بالدفء، قد عاد إلى النافذة التي شاهد منها الرجلين لأول مرة، لكن لم يعد بإمكانه أن يُشاهدهما، لا بد أنهما يتسلقان الآن المرتفع. لم تكن السماء مظلمة جدًا، كان الثلج قد توقف عن السقوط أثناء الليل وكان الصباح قد انفرج بنور باهت وبدأ يُصبح أكثر إشراقًا مع انقشاع سقف الغيوم، ثم بدأ النهار ينجلي في الساعة الثانية ظهرًا، وهذا مع ذلك أفضل مما كان عليه الطقس خلال الأيام الثلاثة الأخيرة، عندما كانت الثلوج تسقط بكثافة وسط الظلام الدامس ترافقها عواصف عاتية كانت تهبّ وتُقعقع بالباب المزدوج لقاعة التدريس...

كان دارو خلال تلك الأيام يُمضي ساعات طويلة في غرفته، ولم يكن يغادرها إلا عندما كان يصعد إلى العليّة (الطابق الكائن فوق السطح) لكي يقوم بإطعام الدجاج، أو لكي يجلب بعض الفحم. لحسن الحظ أن شاحنة توزيع المؤن التي تأتي من قرية "تادجيد" الأقرب إلى الشمال، كانت قد جلبت له بعض المؤن قبل يومين من هبوب تلك العاصفة الثلجية العاتية، كما أنها ستعود بالمزيد من المؤن بعد ثمانية وأربعين ساعة، وبالإضافة

إلى ذلك فإن ما لديه الآن من المؤن يكفيه لمقاومة هذا الحصار الذي فرضته عليه الطبيعة، فهناك في تلك الغرفة الصغيرة أكداس من أكياس القمح التي تركتها إدارة المدرسة مخزنة لكي يتم توزيعهاعلى الطلاب الذين عانت عائلاتهم من الفيضانات. في الواقع، هم جميعًا من ضحايا الفيضانات لأنهم جميعًا من الفقراء... كان دارو يُوزع على الأولاد يوميًا حصّة من تلك الحبوب، وهو يعلم بأنها ضاعت عليهم في هذه الأيام الصعبة، ولكن لا بدّ أن يأتي إلى المدرسة بعد ظهر اليوم بعض الآباء أو أحد الإخوة الأكبر سنًّا لكي يطلبوا تزويدهم ببعض الحبوب. وعلى كافة الأحوال فإن ما يتم توزيعه ليس سوى إعانة مؤقتة ريثما يحين موعد الحصاد القادم، كما أن السفن المحمّلة بالقمح في طريقها للوصول الآن من فرنسا...

انتهت الفترة الأسوأ، ولكن سوف يكون من العسير نسيان ذلك الفقر، وذلك الجيش من الأشباح الرثّة الثياب التي تهيم تحت أشعة الشمس، وبأن سفح الجبل قد بدأ يتحوّل شهرًا بعد شهر إلى رماد، وبأن الأرض كانت قد بدأت تذبل شيئًا فشيئًا. أو أنها بالمعنى الأصحّ كانت تتلف شيئًا فشيئًا، وبأن كل حجرة كانت تتحول تحت الأقدام إلى رماد، وبأن قطعان الأغنام قد نفذت بالآلاف، وحتى أن بعض الرجال كانوا قد توفوا هنا وهناك، دون أن يعلم أحد بذلك...

لكنه وعلى نقيض مثل ذلك الفقر، يعيش في هذا المبنى المُنعزل للمدرسة أشبه بناسك، راضيًا بالقليل مما لديه وبهذه الحياة القاسية، وهو يشعر مع ذلك بأنه من طبقة النبلاء بهذه الجدران البيضاء النظيفة، وبهذه الأريكة الضيقة، وبالرفوف غير المدهونة، وبهذه البئر، وبما لديه من مؤونة أسبوعية من الماء والغذاء...

كان الثلج هذا العام قد جاء فجأة دون سابق إنذار ودون أن تسبقه الأمطار. هذا هو الوضع في هذه المنطقة، الحياة فيها قاسية وهي قاسية حتى بدون الرجال الذين ليس بإمكانهم على كافة الأحوال المساعدة في مثل هذه الظروف. لكن دارو كان قد ولد هنا، لذا فهو في أي مكان آخر يشعر أنه في منفى.

صعد بسرعة إلى السطح المُقابل لمبنى المدرسة. ها قد أصبح الرجلان في منتصف الطريق إلى المنحدر. استطاع أن يتعرّف من بعيد على الرجل الذي كان يمتطي الحصان، إنه بالوتشي الشرطي العجوز الذي كان قد عرفه لفترة طويلة. كان بالوتشي يُمسك بقوة بنهاية حبل رُبط به شخص عربي كان يمشي خلفه برأس مطأطئة وهو موثق اليدين. لوّح إليه الشرطي بالتحية، لكن دارو لم يردّ عليها. كان غارقًا في تأمّله لذلك العربي الذي يرتدي عباءة زرقاء باهتة اللون، وفي رجليه خفّ مغطى بجوارب ثقيلة من

الصوف الثقيل الخشن، تعلو رأسه كوفية قصيرة ضيقة. كانوا يقتربون ببطء من المدرسة، وكان بالوتشي يدفع بحصانه إلى الخلف لكي لا يؤذي العربي.

عندما أصبحوا على مرمى السمع، صاح بالوتشي:

"أمضينا ساعة كاملة في اجتياز الثلاث كيلومترات من آمور (اسم مدينة) إلى هنا!.."

لم يُجب دارو، وكان يرقبهما فقط وهما يصعدان إليه. لم يرفع العربي رأسه ولا مرة واحدة، وعندما صعدا إلى السطح قال دارو:

"أهلًا، تعالا إلى الداخل كي تحصلا على بعض الدفء."

نزل بالوتشي بصعوبة من على ظهر الحصان دون أن يُفلت الحبل من بين يديه وابتسم لدارو من تحت شاربه الكثيف. لبالوتشي عينان صغيرتان داكنتان، عميقتان، متوضّعتان تحت جبينٍ لوحته الشمس، وفمٌ تُحيط به التجاعيد ما يُعطيه شكل الشخص اليَقظ والمُجدّ. أخذ دارو منه اللجام، وكان بعد أن ساق الحصان إلى الزريبة، قد عاد إلى الرجلين اللذين كانا بانتظاره في المدرسة. اصطحبهما إلى غرفته وقال:

"سوف أقوم بتدفئة قاعة التدريس، سوف نكون هناك أكثر راحة."

عندما عاد دارو ثانية إلى الغرفة وجد بالوتشي على الأريكة. كان قد فكّ الحبل الذي يوثق به ذلك العربي، الذي كان جاثمًا بجانب المدفأة، لا تزال القيود في يديه، وقد انحسرت عن رأسه الكوفية إلى الخلف. وهو ينظر نحو النافذة. كان أول ما لفت نظر دارو في ذلك العربي تلك الشفاه الغليظة الممتلئة المَلِسة التي تُشبه شفاه الزنوج، إلا أن أنفه كان مستقيمًا، أما عيناه فكانتا مليئين بنظرة التحدّي، وقد كشفت الكوفية التي انحسرت عن رأسه عن جبين يوحي بالعناد، كما أن وجهه بالكامل بتلك البشرة الشاحبة بتأثير البرد، كان يوحي بالتمرّد وبعدم الارتياح مما جعل دارو يُصدم عندما التفت إليه العربي ونظر مباشرة في عينيه...

قال المدرّس "اذهبا إلى الغرفة الأخرى، سوف أعدّ بعض الشاي بالنعناع."

قال بالوتشي "شكرًا لك!.. يا له من عمل مُمل!.. كم بتّ أتوق إلى التقاعد."

ثم خاطب سجينه العربي بأن قال: "أنت، هيا."

نهض العربي ببطء يحمل معصميه الموثقين أمامه، وذهب إلى قاعة التدريس.

وكان دارو عندما أحضر الشاي قد أحضر أيضًا كرسيًا، لكن بالوتشي كان قبل ذلك قد اعتلى أقرب مِقعد طالب، بينما جثم العربي مقابل المدفأة التي تقع بين المنبر والنافذة.

تردّد دارو عندما أراد أن يناول السجين كأس الشاي، نظر إلى يديه الموثقتين، وقال لبالوتشي:

"ربما كان عليك أن تفكّ وثاق يديه."

قال بالوتشي "نعم بالتأكيد، كان ذلك لأجل الرحلة فقط." ثم بدأ يحاول النهوض، لكن دارو كان قد ركع بجانب العربي بعد أن وضع كأس الشاي جانبًا. رقبه العربي بعينيه المحمومتين دون أن يقول شيئًا، وكان عندما تم تحرير يديه، قد فرك معصميه ببعضهما وتناول على الفور كأس الشاي وارتشف كامل السائل الملتهب برشفات صغيرة وسريعة.

قال دارو: "حسنًا، وأين ستتوجها الآن؟"

سحب بالوتشي شاربه الذي انغمس في الشاي وقال: "إلى هنا، بُنيّ."

"هل هناك بعض الطلبة غير النظامين هنا؟ وهل ستمضي الليلة هنا؟"

"لا، سوف أعود إلى ال "آمور"، وعليك أنت أن تقوم بتسليم هذا الرجل إلى "تينغويت" فهم بانتظار تسليمه في المركز الرئيسي لقيادة الشرطة."

كان بالوتشي ينظر إلى دارو وهو يبتسم ابتسامة صغيرة ودودة.

سأله دارو: "ما هي قصته، هل تُخفي عني الحقيقة؟"

تردّد بالوتشي ثم قال: "لا بُنيّ، إنها الأوامر."

قال دارو: "الأوامر؟ أنا لست..." لكنه تردّد لأنه لم يكن يرغب بجرح مشاعر ذلك الكورسيكي العجوز ثم قال:

"أقصد أن هذا ليس من شأني."

قال بالوتشي: "ماذا؟ ما الذي تعنيه بهذا؟ في زمن الحرب يؤدي الناس جميع أنواع الأعمال."

قال دارو "سوف إذن أنتظر أن يتم إعلان الحرب."

هزّ بالوتشي رأسه وقال:

"حسنًا، اتفقنا، لكن الأوامر موجودة، وهي تعنيك أيضًا. "الأمور" في حالة تأهب وسوف تظهر عما قريب، هناك ما يُقال عن تمرّد وشيك، ونحن بشكل ما في حالة التأهب للحرب."

ظلّ دارو على نظرته التي تنمّ عن العناد.

قال بالوتشي: "اسمع، بُني، أنا أحبك، ويجب أن تفهم. هناك اثنا عشر رجلًا فقط من جماعتنا في ال "آمور" وعليهم أن يتناوبوا في الحراسة على طول وكامل المنطقة. يجب أن أعود بسرعة، طُلب مني تسليم هذا الرجل إليك والعودة دون تأخير. ليس بإمكاننا إبقاؤه هناك، فقد بدأت القرية التي جاء منها تتحرك، فهم يريدون استعادته. يجب أن تأخذه إلى "تينغويت" غدًا وقبل نهاية النهار، ولا يجوز أن تُخيف عشرون كيلو مترًا فقط شخصًا قويًا مثلك، وسوف ينتهي بكل شيء بعد ذلك، وسوف تعود إلى طلابك وإلى حياتك المريحة."

كان بإمكان دارو أن يسمع من خلف الجدار صوت صهيل الحصان الذي كان يضرب الأرض بقوائمه. نظر من النافذة إلى الخارج، من المؤكد أن الطقس ينقشع وقد بدأ الضوء ينتشر بشكل أكبر على سفح الجبل المُغطى بالثلوج. عندما ستذوب كل هذه الثلوج، سوف تُحرق الشمس من جديد حقول الحجارةهذه، وسوف تُسقط السماء التي لا تتغير مع ذلك ضوءها الذابل لأيامٍ طويلةٍ على الامتداد المُنعزل لهذا المكان الذي لا يوجد فيه ما يرتبط بالإنسان.

قال دارو: وهو يستدير نحو بالوتشي:

"على كافة الأحوال أريد أن أعرف ما الذي فعله؟"

وكان قبل أن يفتح الشرطي فمه كي يُجيبه، قد سأله "هل يتكلم اللغة الفرنسية؟"

قال بالوتشي: "لا، ولا حتى كلمة واحدة، كان بحثنا عنه قد استمر لمدة شهر، كانوا قد خبؤونه. لقد قتل ابن عمه."

سأل دارو "هل هو ضِدنا؟"

"لا أعتقد ذلك، ولكن ليس بإمكاننا أن نتأكد."

"لِم قَتَله؟"

"شجار عائلي، على ما أعتقد. كان أحدهما مَدينًا للآخر بقيمة الحبوب. يبدو الأمر مُبهمًا. باختصار، لقد قتل ابن عمه بالمنجل. أتعلم، هكذا كما تُقتل الشاة، كيييييز!..."

وكان بالوتشي قد أشار بيده على عنقه كما لو أنه يرسم عليها جرحًا، مما استرعى انتباه العربي الذي كان يرقبه بقلق...

شعر دارو فجأة بغيظ شديد تجاه ذلك الرجل، وتجاه جميع الرجال بحقدهم وبمفاسدهم وبكراهيتهم التي لا تنتهي وبتلهّفهم للدماء.

كان وعاء الشاي على المدفأةقد بدأ يُصفّر. قدّم دارو لبالوتشي المزيد من الشاي، ثم كان بعد تردّد قد قدّم الشاي للعربي مرة أخرى وشربه العربي بنهم. وكان عندما رفع يديه قد جعل العباءة تفتح، مما جعل دارو يشاهد صدره النحيل العضلي.

قال بالوتشي "شكرًا ولدي، سوف أغادر الآن."

ثم نهض وتوجه نحو العربي وأخرج حبلًا صغيرًا من جيبه.

سأله دارو بجفاء: "ما الذي ستفعله؟"

عرض بالوتشي عليه الحبل وهو يشعر بالارتباك.

قال دارو: "لا تهتم."

تردّد الشرطي العجوز وقال: "هذا يعود إليك، أنت تحمل بالطبع سلاحًا أليس كذلك؟"

قال دارو: "لدي بندقية صيد."

"أين هي؟"

"في الشاحنة"

"يجب أن تبقيها إلى جانب سريرك."

"لماذا؟ فليس هناك ما أخشاه."

"أنت مخبول، بُني. هناك الآن انتفاضة، لا يوجد هنا من هو في أمان، نحن جميعًا على ذات المركب."

"سوف أدافع عن نفسي، وسوف يكون لدي الوقت لكي أراهم عندما سيأتون إلي."

بدأ بالوتشي يضحك، بحيثغطى شاربه أسنانه البيضاء.

"سوف يكون لديك الوقت؟ حسنًا! هذا تمامًا ما كنت أقوله. كنت دومًا هكذا، لديك مسّ من الجنون، لذا فأنا أحبك، كان لدي ولد مثلك."

وكان بذات الوقت قد أخرج مسدسه ووضعه على المكتب. وقال:

"احتفظ به، لست في حاجة إلى سلاحي من هنا إلى ال "آمور."

لمع المسدس على طلاء الطاولة الأسود.

قال دارو فجأة: "اسمع، بالوتشي، هذا الأمر يُجعلني أشعر بالاشمئزاز، وأول ما يجعلني أشعر بذلك هذا الشخص، لكنني لن أقوم بتسليمه... أن يكون علي أن أقاتل، نعم، وهذا أيضًا لو احتجت إلى ذلك. ولكن ليس هذا الأمر."

وقف الشرطي العجوز أمامه ونظر إليه بقسوة. وقال بأناة: "أنت تتصرف كالمخبول. أنا أيضًا لا أحب ذلك، فأنت لا تعتاد على وضع القيود في يدّ رجل، وحتى لو كنت قد فعلت ذلك لسنوات فأنت تخجل حتى من نفسك، نعم، تخجل من نفسك، ولكن ليس بإمكانك أن تترك لهم العنان..."

قال دارو: "لن أقوم بتسليمه."

قال بالوتشي: "بُني ، هذا أمر وأنا أكرر ذلك."

قال دارو: "هذا صحيح. كل ما عليك هو أن تُعيد على مسامعهم ما قلته لك، لن أقوم بتسليمه..."

كان يبدو على بالوتشي بأنه كان يبذل جهدًا واضحًا بالتفكير بما سيفعله، نظر إلى العربي وإلى دارو ثم قرّر أخيرًا بأن قال:

"كلا، لن أعلمهم بأي شيء...ولو شئت أن تُوقع بنا فلتقم بذلك... لن أبلغ عنك... لكن لدي أمر بتسليم السجين، لذا عليك الآن أن تُوقّع لي هذه الورقة فقط..."

قال دارو "لا حاجة لذلك، فلن أنكر بأنك تركته معي."

قال بالوتشي: "لا تكن خبيثًا معي، أنا أعلم بأنك سوف تقول الحقيقة، أنت من هذه المناطق وأنت رجل، لكن عليك أن تُوقّع لأن هذا هو القانون المطبق."

فتح دارو درجه، وأخرج منه زجاجة من الحبر الأرجواني، ثم تناول من حاملة الأقلام الخشبية الحمراء القلم الذي يستخدمه في التخطيط ووقّع الورقة. طوى الشرطي الورقة بعناية ووضعها في حافظة نقوده ثم توجه نحو الباب.

قال دارو: "سوف أرافقك إلى الباب."

قال بالوتشي: "لا، لا حاجة لأن تكون مهذبًا معي، لقد أهنتني."

ثم نظر إلى العربي، الذي كان قابعًا دون حراك في ذات المكان، نفخ بتبرم واستدار نحو الباب، وقال: "وداعًا، بني."

وخرج أغلِق الباب وراءه. كان بالوتشي قد ظهر بعد ذلك من خلف النافذة ثم اختفى. كان الثلج قد أخمد صوت وقع قدميه، لكن الحصان كان قد اهتاج في الطرف الآخر من الجدار مما جعل عدة دجاجات يُرفرفن من الخوف. وبعد لحظات ظهر بالوتشي من جديد، كان يقود الحصان من لجامه ويتوجّه نحو المرتفع. لم يكن قد استدار لكن كان بإمكان دارو أن يسمع صوت ارتداد حجرة كبيرة رماها ثم اختفى عن الأنظار ...

عاد دارو إلى السجين الذي لم يكن يرفع عينيه عنه. قال له دارو بالعربية: "انتظر."

ثم ذهب إلى غرفة النوم، وعندما شارف على الدخول من الباب خطرت بباله فكرة أخرى. عاد إلى المكتب وتناول المسدس ودّسه في جيبه، ثم دخل إليغرفته دون أن ينظر إلى الخلف.

ظلّ دارو مُستلقيًا هناك على الأريكة لبعض الوقت، ينظر إلى السماء، التي كانت قد بدأت تنغلق من جديد، ويُصغي إلى الصمت. هذا الصمت الذي كان قد بدا له مؤلمًا في العام الأول لمجيئه إلى هنا بعد الحرب. كان دارو قد طلب تعيينه في بلدة صغيرة تقع على قاعدة الهضبة التي تفصل سفح الجبل عن الصحراء. هناك، حيث تُعطي جدرانمن الصخور الخضراء والسوداء في الشمال، والجدران القرنفلية والأرجوانية في الجنوب، لتلك التُخوم سِمة الصيف السَرمدي. وكان قد تم بالفعل تعيينه في منصب في أقصى الشمال وعلى ذات السفح.

كان دارو قد وجد في البداية صعوبة في الاعتياد على الوحدة وعلى الصمت في هذه الأرض المأهولة بالصخور فقط... كان ما فيها من الأخاديد يوحي أحيانًا بوجود إمكانية لزراعة الأرض، إلا أن تلك الأرض عندما حُفِرت لم تَكشف سوى على نوع من الصخور التي تصلح للبناء فقط. وبذلك كانت الفلاحة الوحيدة هنا هي للحصول على

الصخور...ولكن كانت هناك في مكان آخر طبقة رقيقة من التربة تراكمت في التجاويف يجعلها تصلح لإغناء الحدائق البدائية في القرى...

هذا هو الوضع، صخور عارية تغطي ثلاث أرباع مساحة المنطقة. مدن ظهرت وازدهرت ثم اختفت، جاءإليها البشر، كانوا قد أحبوا بعضهم البعض، أو أنهم كانوا قاتلوا بضراوة، ثم ماتوا دون أن يهتم أحد في هذه الصحراء بالأمر، لا هو ولا ضيفه. ومع ذلك لا أحد منهم، حتى خارج هذه الصحراء، كما يعلم دارو كان قد عاش حياته بالفعل.

عندما نهض دارو، لم تصل إلى مسامعه أية جلبة من قاعة التدريس. وكان قد دهش لما ولّده لديه ذلك من بهجة لمجرد التفكير بأن يكون السجين العربي قد هرب وبأنه سوف يكون من جديد بمفرده دون أن يكون عليه أن يتخذ أي قرار...

لكن السجين كان هناك،كان قد تمدّدفحسب بين المدفأة والمنبر. وهو يُحدق في السقف بعينين مفتوحتين. كان أكثر ما يلفت الانتباه فيه وهو في ذلك الوضع، هو شكل شفتيه الغليظتين اللتين تجعلانه يظهر بمظهر الشخص المُستاء.

قال له دارو: "تعال." نهض العربي وتبعه. عندما أصبحا في غرفة النوم أشار ناظر المدرسة إلى كرسي بجانب الطاولة تحت النافذة.

جلس العربي دون أن يرفع عينيه عن دارو.

سأله دارو: "هل أنت جائع؟"

قال العربي: "نعم."

أعدّ دارو طاولة الطعام لشخصين. جلب الطحين والزيت وأعدّ قالب الكعكة في المقلاة ثم أشعل الموقد الصغير الذي يعمل على أسطوانة الغاز. وكان في الوقت الذي كانت فيه الكعكة تُطهى، قد ذهب إلى العليّة لكي يجلب بعض الجبن والبيض والتمر والحليب المُكثف. وعندما أصبحت الكعكة جاهزة وضعها على حافة النافذة لكي تبرد، ثم قام بتسخين الحليب المُكثف المخفف بالماء، وأعدّ عجّة البيض. كانت يده أثناء إحدى تحركاته قد اصطدمت بالمسدس الملتصق بجيبه الأيمن. أنزل القِدر إلى الأرض، وذهب إلى غرفة التدريس، وضع المسدس في درج المكتب، وعاد إلى المطبخ.

كان الليل قد بدأ يحلّ وبذلك أشعل دارو الضوء. قدّم الطعام إلى العربي وقال له: "تناول الطعام."

أخذ العربي قطعة الكعك، رفعها إلى فمه إلا أنه توقف وسأله: "وأنت؟"

قال دارو: "سوف آكل أيضًا بعد أن تأكل أنت"

انفرجت شفتا العربي، تردد قليلًا لكنه لم يقل شيئًا وبدأ يقضم الكعكة بنهم.

بعد أن انتهت وجبة الطعام. نظر العربي إلى ناظر المدرسة وسأله: "هل أنت القاضي؟"

"لا، أنا أحتفظ بك هنا إلى الغد فقط."

"لماذا تأكل معي؟"

"لأنني جائع."

خيّم الصمت على العربي. نهض دارو خرج وعاد بسرير يُطوى. نصبه بشكل عمودي باتجاه سريره بين الطاولة والمدفأة، ثم أخرج بطانيتين من حقيبة كبيرة كانت في ركن الغرفة، تُستخدم كرفّ للأوراق، قام بتسويتهما على السرير ثم توقف وقد بدأ يشعر بالإنهاك ثم جلس على سريره...

لم يعد هناك ما عليه أن يقوم به أو أن يقوم بتحضيره. كل ما عليه الآن هو أن يراقب هذا الرجل. نظر إليه محاولًا تخيّل صورة وجهه عندما كان يستشيط غضبًا، لكنه لم يتمكن من أن يفعل ذلك. كل ما بإمكانه هو أن ينظر إلى تلك العينين الداكنتين اللامعتين وذلك الفم الحيواني.

ثم سأله بلهجة عِدائية كان هو نفسه قد دُهش لها:

"لماذا قتلته؟"

نظر العربي إلى الجهة الأخرى، وقال: "كان قد هرب، وركضت خلفه."

ثم رفع ناظره من جديد إلى دارو، كانت في عينيه نظرة تساؤل تُثير الشفقة وسأله:

"ما الذي سيفعلونه بي الآن؟"

سأله دارو: "هل أنت خائف؟"

تصلّب جسمه وأدار عينيه بعيدًا.

"هل أنت نادم؟"

حدّق العربي بدارو وهو فاغر الفم. كان من الواضح أنه لم يفهم ما قاله. كان ضيق دارو قد تزايد، وكان يشعر بذات الوقت بالارتباك والخجل من ذلك الجسد الضخم المحشور بين السريرين. قال له بضجر:

"استلقِ هناك، ذاك سريرك."

لم يتحرك العربي وقال لدارو: "قل لي!"

نظر ناظر المدرسة إليه:

"هل سيعود ذلك الشرطي إلى هنا غدًا؟"

"لست أدري؟"

"هل ستأتي معنا؟"

"لست أدري، لماذا؟"

نهض السجين ثم تمدّد على البطانيات، قدماه باتجاه النافذة. لمع الضوء القادم من المصباح الكهربائي في عينيه وأغمضهما على الفور.

وقف دارو بجانب السرير وكرّر سؤاله: "لماذا؟"

فتح العربي عينيه تحت الضوء النافذ للمصباح، ونظر إليه محاولًا ألا يُغمضهما ثانية ثم قال: "تعال معنا."

انتصف الليل دون أن يكون دارو قد خلد بعد إلى النوم. كان بإمكانه أن يرقب ذلك العربي وهو ممددًا في سريره. كان العربي مُمددًا على ظهره بلا حراك وقد أغلق عينيه تحت الضوء الساطع، وعندما أطفأ دارو الضوء، كان الظلام قد بدأ يدلهمّ وقد بدأت السماء الخالية من النجوم تمتزج به برفق. وكان ناظر المدرسة قد بدأ يعتاد على ذلك الجسد المُمدّد في مَوضع قدميه. لم يتحرك العربي، لكن عينيه كانتا تبدوان مفتوحتين.

بدأت ريح خفيفة تهب حول مبنى المدرسة. فكّر دارو:

"قد تُزيح هذه الرياح الغيوم المتراكمة وقد تستطع الشمس من جديد." اشتد هبوب الرياح مما جعل الدجاجات يُرفرفن قليلًا من الخوف ثم ساد الصمت.

تقلّب العربي على جنبه الآخر بحيث أصبح ظهره لدارو، خُيّل لدارو بأنه سمعه يئن ثم أصغى إلى نفَسه، ذلك النفّس الذي كان قريبًا جدًا منه، إلى أن بدأ يُصبح أثقل وأكثر انتظامًا. استغرق دارو في التفكير لكنه لم يتمكن من النوم. كان وجود هذا الشخص الغريب في هذه الغرفة التي كان ينام فيها بمفرده لمدة عام يتسبب له بالضيق، لكن ما يُضايقه أكثر هو ما أصبح يفرضه عليه ذلك من نوع من التآخي الذي كان يعرفه تمامًا، لكنه يرفض تقبّله في الظروف الحالية... فالرجال الذين يتقاسمون ذات الغرف، سواء أكانوا من الجنود أو من السجناء، تنشأ بينهم رابطة غريبة كما لو أنهم، عندما ينزعون عنهم دروعهم وملابسهم كل مساء، يتآخون ويتجاوزون خلافاتهم الطائفية السابقة بالحلم. لكن دارو كان بمثل هذه الأفكار يُناقض نفسه، فهو في الحقيقة لا يميل إلى مثل هذه التأمّلات، ومن الضروري أن ينام الآن.

تحرّك العربي بعد قليل، لم يكن دارو قد خَلد تمامًا للنوم شعر بالخطر، وبذلك كان قد جمد تمامًا في مكانه عندما تحرك العربي من جديد. كان العربي يرفع بَدَنه على ذراعيه

ببطء وبسكون أشبه بحركة من يمشي أثناء نومه. وكان عندما استقام على الفراش، قد انتظر دون حراك دون أن يلتفت نحو دارو، كما لو أنه كان يُصغي بانتباه شديد. لم يتحرك دارو، وخطر بباله للتو بأن المسدس لا يزال في درج مكتبه. كان من الأفضل أن يتصرف على الفور، لكنهمع ذلك استمر في مراقبة السجين، الذي كان في ذلك الوقت قد وضع قدميه على الأرض بحركة تُشبه سَعي الأفاعي. انتظر قليلًا ثم بدأ يقف ببطء. كان دارو على وشك أن ينادي طالبًا النجدة، لكن العربي كان قد بدأ يمشي بأناة وبطريقة طبيعية تمامًا. كان يتوجه نحو الباب الكائن في آخر الغرفة، الذي ينفتح على العليّة (الطابق العلوي). رفع المزلاج بحذر وخرج ودفع الباب خلفه دون أن يغلقه... لم يتحرك دارو وفكرّ بغبطة:

"لا بدّ أنه يهرب الآن، وسوف يكون هذا من حسن الحظ!" لكنه استمر مع ذلك بالإنصات بكل يقظة. لم تكن الدجاجات ترفرف. لا بد أن الضيف قد أصبح الآن على السفح... ثم وصل إلى مسامعه صوت خفيض لتدفق مياه، ولم يستطع أن يتبين كِنه ذلك الصوت إلى أن وقف العربي ثانية أمام مدخل الباب ثم أغلق الباب بعناية وعاد إلى السرير دون أن يُصدر أي صوت....

استدار دارو بظهره إليه حينئذ وخلد للنوم. ثم خيّل إليه فيما بعد، وهو في أعماق نومه، بأنه يسمع وقع أقدام خَفية حول مبنى المدرسة، لكنه كان يكرّر لنفسه "أنا أحلم!...أنا أحلم!..." ويعود للنوم.

عندما استيقظ دارو في الصباح التالي، كانت السماء صافية، وكانت النافذة المخلوعة تُسّرب إلى الداخل هواءً باردًا نقيًّا. كان العربي لا يزال يغطّ في نومه مسترخيًا تمامًا وبفم مفتوح منحنيًا إلى الأمام تحت الملاءات، لكنه عندما هزّه دارو من كتفه كي يوقظه، وثب بذعرٍ شديد وأخذ يُحدق بدارو بعينين مسعورتين وبتعبير عن الفزع كما لو أنه لم يكن قد رآه سابقًا، مما جعل دارو يتراجع إلى الوراء ويقول له:

"لا تخف، هذا أنا. يجب أن تأكل."

هزّ العربي رأسه وقال: "نعم"، وعاد إلى هدوئه لكن تعبير وجهه كان لا يزال فاترًا غامضًا.

كانت القهوة جاهزة. شرباها وهما جالسان معًا على السرير، يقضمان قطع الكعك. اقتاد دارو بعد ذلك العربي إلى العليّة وأطلعه على مكان صنبور الماء الذي يغتسل منه. ثم عاد إلى الغرفة، حيث قام بطيّ الملاءات والسرير، وبترتيب سريره وغرفته. ثم خرج

عبر قاعة التدريس إلى السطح. كانت الشمس قد بدأت ترتفع في قبّة السماء الزرقاء، وقد بدأ ضوء هادئ ساطع ينتشر على السفح المهجور، وقد بدأ الثلج يذوب على قمم الجبال في بعض المناطق، وبدأت الصخور تظهر من تحته. انحنى دارو على حافة السفح وأطلّ على المدى البعيد المهجور. فكّر في بالوتشي. كان قد جرح مشاعره وجعله يذهب بطريقة تُوحي بأنه لم يكن يرغب بالتعاون معه. كان بإمكانه الآن حتى أن يسمع كلمة الوداع التي قالها الشرطي، مما جعله دون أن يدرك السبب، يشعر بشكل غريب بالفراغ وبالخطر...وكان السجين في تلك اللحظة قد سعل في الطرف الآخر من مبنى المدرسة. أصغى إليه دارو رغمًا عنه، ثم قام وهو يستشيط غضبًا برمي حُصاة صفّرت بقوّة في الهواء إلى أن سقطت على الثلج. كان يشعر بالاشمئزاز من الجريمة الخرقاء التي ارتكبها ذلك الرجل، لكن تسليمه يُعتبر أيضًا برأيه منافيًا للشرف. كان مجرد التفكير بذلك يجعله يتألم بشدّة ويشعر بالإذلال. وكان في بوقت واحد قد لعن أناسه الذين أرسلوا إليه هذا العربي، ولعن ذلك العربي الذي تجرأ على القتل ولم يتمكن من الإفلات. نهض دارو ومشى في محيط السطح، انتظر لحظة دون حراك، ثم عاد إلى مبنى المدرسة.

كان العربي مستندًا إلى أرضية الإسمنت في السقيفة ينظف أسنانه بإصبعين. نظر إليه دارو وقال له: "تعال." وعاد إلى الغرفة مُتقدمًا السجين. ارتدى سترته فوق قميصه

ولبس حذاء مريحًا، وانتظر إلى أن وضع العربي كوفيته على رأسه ولبس خفيه، ثم توجها إلى قاعة التدريس. أشار ناظر المدرسة إلى المَخرج قائلًا:

"اخرج." لم يتزحزح العربي.

قال له دارو: "اخرج أنا قادم إليك."

خرج العربي. وعاد دارو إلى الغرفة. أعدّ رزمة وضع فيها بعض قطع البسكويت والتمر والسكر. وكان قبل أن يخرج من قاعة التدريس قد وقف مترددًا لثانية واحدة أمام مكتبه، ثم اجتاز العتبة وأقفل الباب. وحّدث نفسه بالقول "هذه هي الطريقة."

ثم اتجه نحو الشرق يتبعه السجين. لكن عندما كان لا يزال على مسافة قريبة من مبنى المدرسة، خيّل إليه بأنه سمع صوتًا خفيضًا من خلفه. عاد أدراجه وتفحّص محيط المنزل، لم يكن هناك أحد، وكان العربي يرقبه يبدو عليه أنه لم يفهم. قال له دارو: "تعال."

مشيا لمدة ساعة ثم أخذا قسطًا من الراحة على حافة صخرة كبيرة. كان الثلج قد بدأ ذوب بسرعة أكبر فأكبر، وكانت أشعة الشمس تمتص البرك الموحلة، مُنظّفةً بسرعة سفح الجبل، الذي جفّ بالتدريج وبدأ ينبض بالحياة. استأنفا السير. كانت الأرض تُصدر صوت قعقعة تحت أقدامهما، وكان هناك من حين لآخر عصفور يشقّ الفضاء

مُطلقًا صيحة ابتهاج. استنشق دارو نفسًا عميقًا في ذلك الصباح المنعش، وشعر بنوع من النشوة أمام ذلك الامتداد الفسيح الذي كان قد تحوّل بكامله تقريبًا إلى لون أصفر تحت قبّة السماء الزرقاء. مشيا لساعة أخرى، وهما ينحدران نحو الشرق إلى أن وصلا إلى سطح مرتفع من الصخور المنهارة. كان السفح ينحدر من هناك نحو الشرق إلى سهلٍ منخفض توجد فيه بعض الأشجار الطويلة، وينحدر نحو الجنوب إلى منطقة صخرية خالية من الغلال، مما يعطي المكان مظهرًا فوضويًّا.

تفحّص دارو الطريق من الاتجاهين. لم يكن هناك سوى السماء في الأفق، ولم يكن بإمكانه أن يشاهد من هناك حتى شخصٍ واحد، ثم التفت دارو إلى العربي الذي كان ينظر إليه بتعبير أجوف، ناوله الرزمة وقال له:

"خذها، فيها تمور وخبز وسكر. سوف تكفيك لمدة يومين، وهذه أيضًا ألف فرنك."

أخذ العربي الرزمة والمال، لكنه أبقى يديه على مستوى صدره، كما لو أنه لم يكن قد أدرك ما كان عليه أن يفعله بما أعطاه له دارو. ثم قال له ناظر المدرسة وهو يشير باتجاه الشرق:

"والآن انظر، هذه هي الطريق نحو "تينغويت". عليك السير لمدة ساعتين، سوف تعثر في "تيونغيت" على دائرة الشرطة. هم بانتظارك هناك."

نظر العربي نحو الشرق وهو لا يزال يحمل أمام صدره الرزمة والمال. أمسك دارو بمرفقه وأداره بطريقة قاسية نحو الجنوب. كان بإمكان المرء أن يُشاهد من المكان الذي يقفان عليه طريقًا غير واضحة المعالم تقع في أسفل المرتفع. قال له دارو:

"هذا هو الخط الذي سوف تسلكهعبر السهل. سوف تعثر بعد مسيرة يوم واحد على مراعٍ للبدو، سوف يستقبلونك ويُقدمون إليك المأوى بحسب أعرافهم وعاداتهم."

التفت العربي إلى دارو وقد بدت على وجهه علامات الرعب.

قال له دارو: "اسمع." ثم هزّ رأسه وقال له: "لا، أقصد اهدأ، سوف أتركك الآن." ثم أدار ظهره إليه وخطى خطوتين واسعتين باتجاه المدرسة. وبعد أن نظر بتردّد إلى العربي الذي تسمّر في مكانه تابع طريقه. لكنه ولبضع دقائق، لم يكن يسمع سوى وقع خطوات قدميه على الأرض الباردة. لم يستدر برأسه ثانية، لكنه كان مع ذلك قد استدار بعد قليل. كان العربي لا يزال واقفًا هناك على حافة الهضبة بيدين مُتدليتين، ينظر إلى ناظر المدرسة. شعر

دارو بشيء يصعد إلى حلقه. لكنه شتم بضجر، وأشار إليه بشكل مبهم، ثم استمر بالسير. وبعد أن قطع بعض المسافة، توقف ثانية ونظر. لم يكن هناك أحد على الهضبة...

تردّد دارو قليلًا كانت الشمس قد أصبحت في قبّة السماء وبدأت تضرب على رأسه، ثم استأنف سيره، كان ذلك في البداية ببعض التردد، ثم تابع سيره بأكثر من تصميم. وعندما وصل إلى الهضبة الصغيرة كان العرق قد أغرقه تمامًا. صعد إليها بأسرع ما بإمكانه ولم يتوقف إلى أن أصبح على قمتها، يكاد نفسه ينقطع... وكانت الحقول الصخرية من ناحية الجنوب بارزة بحدّة تحت زرقة السماء. لكن الحرارة المّشبعة بالبخار كانت قد بدأت ترتفع في الناحية الشرقية من السهل. كان دارو في ذلك الضباب الخفيف، يفكّر وهو منقبض الصدر:

"لقد جعلت ذلك العربي يسير ببطء إلى طريق السجن."

كان ناظر المدرسة بعد قليل واقفًا أمام نافذة غرفة التدريس، يرقب الضوء الصافي الذي كان ينتشر على كامل سطح الجبل، لكنه لم يكن يكاد يراه. ذلك لأنه كان لتوه قد قرأ على السبورة التي كانت خلفه، بين التواءات صورة الأنهار الفرنسية، هذه العبارة التي كُتبت بالطباشير بخط رديء:

" قمت بتسليم شقيقنا. وسوف تدفع ثمن ذلك ."

نظر دارو إلى السماء وإلى السفح وإلى ما وراء الأراضي غير المرئية الممتدة نحو البحر على طول الطريق، وكان في ذلك المنظر الريفي الطبيعي الفسيح الذي أحبه كثيرًا قد شعر فجأة بالخطر والوحدة...

***

السيرة الذاتية للكاتبة دروثي ليغ سيرس

١٨٩٣-١٩٥٧

ولدت في أكسفورد وهي ابنة أحد الكهنة. وكانت بعد تخرجها من جامعة أكسفورد في العام ١٩١٥ قد عملت مدرسة ثم مدققة لغوية في إحدى دور النشر. وكانت عندما بلغت سن الثلاثين قد عملت أيضًا في إحدى مؤسسات الإعلان.

تعتبر من أشهر كتاب القصص البوليسية في انكلترا. عرفت بأسلوبها الخاص في تصوير الشخصية الخيالية "بيتر ويمسي وهاريت فين" كما قامت بتأليف العديد من المسرحيات الدينية ومن القصص القصيرة.

كانت روايتها الأولى بعنوان "لمن الجثة؟" ثم تلى ذلك العديد من المؤلفات ومن المسرحيات. كانت دروثي سيرس بعد أن حصلت على ما كانت ترغب به من ثروة قد توقفت في العام ١٩٣٧ عن كتابة الروايات البوليسية وانصرفت لكتابة المسرحيات الدينية والمسلسلات الإذاعية ومنها "الرجل الذي ولد لكي يصبح ملكًا" كما كتبت العديد من القصص القصيرة بالاشتراك أحد زملاء الدراسة.

توفيت عام ١٩٥٧ في ايسيكس على إثر نوبة قلبية. ومن أشهر مؤلفاتها:

وفاة غي طبيعية ـ سمّ قاتل ـ وثاق القضية ـ يجب الإعلان عن الجريمة.

***

السيرة الذاتية للكاتب كورادو ألفارو

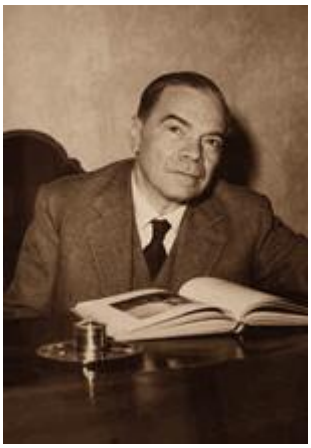

ولد في العام ١٨٩٥ في قرية صغيرة تدعى سان لوكا تقع في جنوب مقاطعة كالابريا..

كان والده مدرسًا في المدارس الابتدائية كما كان يدرس الأميين في المدارس الليلية. تلقى كورادو ألفارو تعليمه في المدارس الداخلية في كل من روما وأمبريا. ثم حصل من جامعة ميلان على درجة الإجازة في اللغويات. كان في بداية حياته المهنية قد عمل ناقدًا ومدققًا لغويًّا في صحيفتين يوميتين في بولون. ثم خدم في الجيش الإيطالي خلال الحرب العالمية الأولى. وأصيب فيها بجروح في ذراعيه مما جعله يُمضي وقتًا طويلًا في المشافي العسكرية.

وكان بعد أن مارس مهنة الصحافة قد تفرغ لمهنة التأليف. كتب ألفارو العديد من الروايات ومن القصص القصيرة والمسرحيات. كانت القصة التي جعلته يحقق ما توصل إليه من شهرة هي قصة "تمرد في أسبرومونوت" التي صوّر فيها الكاتب جشع ملاك الأراضي واستغلالهم لطبقة القرويين المزارعين في كالابريا وهي القصة التي اعتبرها النقاد أروع ما كتبه ألفارو.

تم نشر روايته الأولى "رجل في لبرينث عام ١٩٢٦وهي القصة التي كانت تصوّر الفاشية التي سادت إيطاليا في العام ١٩٢٠. كانت معاداته للفاشية قد أدت إلى أن يوضع تحت الرقابة لمعاداته لنظام موسيليني الفاشي وهذا ما جعله يضطر في العام ١٩٣٠ إلى مغادرة إيطاليا والسفر إلى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي.

عاد ألفارو بعد انتهاء الحرب العالمية إلى إيطاليا وعمل مراسلًا للعديد من الصحف وفي العام ١٩٤٠ تمت تسميته أمينًا لاتحاد الكتاب الإيطاليين واستمر في هذا المنصب إلى أن توفي في العام ١٩٥٦.

كان ألفارو أول الكتاب الذين تجرؤوا على انتقاد المافيا.

حصل في العام ١٩٥١ على جائزة ستريغا المالية وهي أرفع جائزة في الآداب في حينه. كما كانت لجنة حكم من أعضائها الكاتب الإيطالي لويجي بيراندللو قد منحته في العام ١٩٣١ جائزة مالية قدرها ٥٠٠٠ ليرة خصصته به صحيفة "لاستامبا".

***

السيرة الذاتية للكاتب إيرناندو تيليز

١٩٠٨-١٩٦٦:

كاتب وصحفي وشاعر إيطالي الجنسية، ولد وتلقى تعليمه في بوغوتا بكولومبيا. كان قبل تفرغه للكتابة قد عمل في ميدان الصحافة والنقدالأدبي.

وكان في الفترة الأخيرة من حياته المهنية قد أصبح عضوًا في المجلس النيابي وسفيرًا لدولته كولومبيا في منظمة الأمم المتحدة.

من أشهر مؤلفاته من القصص القصيرة "البعض من رغوة الصابون ـ هذا كل شيء " وهي القصة التي لقيت الكثير من الرواج وبشكل خاص بين الطلاب الإسبان في المدارس الأمريكية .

وقصّة "الآثام" التي نشرت عام ١٩٦٤ وقصة "الأدب والمجتمع" التي نشرت عام ١٩٥١

كانتيليز أول من كتب عن العنف في كولومبيا وهو ما تجلّى في روايته الشهيرة "العنف" وفي العديد من مؤلفاته الأخرى بين العامين ١٩٤٦ و ١٩٥٣. تم جمع مؤلفاته

في عدة مجلدات منها ما نُشر في العام ١٩٤٣ تحت عنوان "العالم" وما نُشر في العام ١٩٤٤ تحت عنوان "التوافه"، ومن أشهر مؤلفاته الأخرى كتابه الرائع الذي نشر عام ١٩٤٦ بعنوان "ضوء في الغابة" وكذلك روايته بعنوان "جمرات في الريح".

كانت الأحداث التي مرّت بها دولة كولومبيا في القرن التاسع عشر من ثورات وحروب أهلية ومن حكم دكتاتوري عسكري مصدر الإلهام للعديد من مؤلفاته وبشكل خاص قصته الشهيرة "العنف".

***

السيرة الذاتية للكاتب ألبير كامو

١٩١٣ - ١٩٦٠:

ولد في الجزائر عام ١٩١٣ ثم انتقل مع والده للعيش في فرنسا التدريس، أنهى دراسته في اختصاص الفلسفة بهدف العمل في مجال التدريس، ثم بدأ يعمل في مجال الصحافة في العام ١٩٣٨.

نشأ ألبير كامو في بيئة فقيرة جدًا وفي نفسه ثورة عارمة على الظلم وعلى القمع بكافة مظاهره. وكان له دوره في المقاومة الفرنسية خلال فترة الاحتلال النازي. في العام ١٩٤١ أسس كامو صحيفة سريّة تحت اسم "المقاومة" وكان ببعد الحرب العالمية الثانية قد بدأ يتناول في مقالاته وفي رواياته المواضيع المتعلّقة بمأساوية وسخف الحياة، وما يشير إلى حاجة الإنسان إلى الكفاح للتغلب عليها. كما كتب عن أوضاع المسلمين في الجزائر مما أدى إلى خسارته لعمله.

التحق ألبير كاموفي العام ١٩٤٤ بالمقاومة ضدّ الناوية وكان في ذلك العام قد تعرف على الكاتب جان بول سارتر وكان له دوره المتميّز في المقاومة الفرنسية خلال فترة الاحتلال النازي.

من أشهر مؤلفاته رواية "الغريب" التي نشرت عام ١٩٤١ وهي الرواية التي لقيت نجاحًا كبيرًا. كما كتب في العام ذاته مسرحية "غاليغلا" وتلى ذلك في العام ١٩٤٦ روايته الشهيرة "الطاعون" وفي العام ١٩٤٧ مسرحية "القتلة الشرفاء" وفي العام ١٩٥١ "ثورة الرجال". كما كتب ألبير كامو العديد من القصص القصيرة منها قصته الشهيرة "المملكة والمنفى" التي نشرت في العام ١٩٥٢. وقصة "الضيف".

في العام ١٩٥٧ تم منحه جائزة نوبل للآداب على إنتاجه العلمي المتميّز

توفي ألبير كاموعام ١٩٦٠ في حادث أثناء سباق للسيارات، وكان في ذلك الوقت قد حصل على مركز مرموق في المجتمع الفكري والأدبي العالمي.

***

السيرة الذاتية

Curriculum vitae

الاسم:

أمل الرفاعي ابنة عمر بسيم الرفاعي.

العنوان الالكتروني:

amale@scs-net.org

الجنسية:

عربية ـ سورية.

المؤهلات العلمية:

ـ إجازة في الحقوق ـ جامعة حلب.

ـ دبلوم في الإدارة ـ المعهد الدولي للإدارة باريس ـ فرنسا.

اللغات الأجنبية:

اللغتين الفرنسية والإنكليزية.

الوظائف:

١ـ مديرة لمكتب رئيس جامعة حلب.

٢- أمينة السرّ ومسؤولة تنظيم المؤتمرات الدولية والمحلية التي انعقدت في جامعة حلب بالتعاون مع الجامعات والمؤسسات العلمية والمنظمات الدولية ومنها:

- منظمة اليونسكو.

- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت.

- معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد – أسبانيا.

- المنظمة العربية والثقافة والعلوم.

- مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية المتحدة وغيرها.

المؤلفات التي تم نشرها ورقيًّا:

ـ قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية

إنكليزي ـ عربي وبالعكس

ـ قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية

إنكليزي عربي وبالعكس

- نماذج للمراسلات المكتبية

إنكليزي - عربي

مؤلفات قيد النشر:

ـ نماذج لأصول المراسلات المكتبية ثلاثية اللغة عربي ـ إنكليزي ـ فرنسي.

ترجمات تم نشرها عن طريق دار ناشري:

ترجمات جاهزة للنشر:

- معجم المصطلحات الدبلوماسية والسياسية

- القاموس القانوني الدبلوماسي ثلاثي اللغة ـ عربي إنكليزي ـ فرنسي

- ترجمات لمجموعة من قصص الكاتب الفرنسي غي دو موباسان

المقالات:

- التأهيل الإداري وأثره في إعداد شخصية الإداري الناجح.

- تأثير محيط العمل على تقبّل عملية التطوير الإداري.

- كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين.

- محكمة التاريخ.

- الفساد الأخلاقي.

- الطموح والقناعة.

قصص قصيرة:

- حديث المرآة.

- سارة والوردة الأخيرة.

- تضحية أم.

***